مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية

المجلد : 22 العدد : 68   March 2007

العقيدة اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري

د. محمد محمد عيسى (*)

(*) الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

ملخص:

العقيدة الإيمانية هي أول ما يطلب من المؤمن وعليها ينبني الدين وهي أول الأمر وآخره، وهي أساس العمل، وكل ما سواها من الأعمال مبني عليها وتابع لها ولذلك فإن صلاح الأعمال رهين بحسن الاعتقاد.

وقد اهتم المنهج القرآني اهتماماً بالغاً بإصلاح العقيدة وترسيخ جذورها وتحريرها من زيف الجمود، وتطهيرها من الأوهام والشبهات، ليجعل من العقيدة الصحيحة القوية انطلاقة لإصلاح كل مناحي الحياة، فالعقيدة الصحيحة هي التي تقدم للإنسان التفسير الصحيح الشامل للوجود الكوني والإنساني والانحراف في العقيدة ينشأ عنه انحراف في العبادات والعادات ويترتب على ذلك فساد في السلوك الاجتماعي.

والعقيدة الصحيحة لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الأنبياء والرسل، فالأصول الإيمانية واحدة في جميع الأديان السماوية.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[1].

واليهودية ديانة سماوية صحيحة جاءت بالتوحيد الخالص على يد نبي الله موسى ـج، ولكن القوم قد بحثوا في عقائدهم بعقولهم فضلوا وانحرفوا عن الطريق المستقيم، والسبب راجع في أنهم لم يعتمدوا في كلامهم على وحي الله السليم، فقد حرفوا التوراة وبدلوا فيها حسب هواهم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2]. وقد أخذ التحريف في التوراة مظهرين:

---

(١) سورة الشورى، الآية (١٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٧٩).

الأول: تحريف لفظي ويكون بأحد ثلاثة وجوه: بالتبديل أو بالزيادة أو بالنقصان.

الثاني: تحريف معنوي وذلك بتغيير مدلولات الألفاظ وترجمتها إلى ما يوافق هواهم.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

إن اليهودية لا تصلح لإعطاء أي راغب في معرفة العقيدة الصحيحة وأصول الإيمان السليمة، لذا لم يبق إلا الإسلام فهو وحده القادر على العطاء الدائم من أصول ثابتة لا أباطيل فيها ولا تحريف وهو كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء وما يرجوه من كمال ورفعة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[2].

وبالله التوفيق

(١) سورة المائدة، الآية (١٣).

(٢) سورة المائدة، الآيتان (١٥، ١٦).

مقدمة:

العقيدة هي أول ما يطلب من المؤمن وعليها ينبني الدين وهي أول الأمر وآخره، وهي أساس العمل، وكل ما سواها من الأعمال مبني عليها وتابع لها ولذلك فإن صلاح الأعمال رهين بحسن الاعتقاد.

وقد اهتم المنهج القرآني اهتماماً بالغاً بإصلاح العقيدة وترسيخ جذورها وتحريرها من زيف الجمود، وتطهيرها من الأوهام والشبهات، ليجعل من العقيدة الصحيحة القوية انطلاقة لإصلاح كل مناحي الحياة، فالعقيدة الصحيحة هي التي تقدم للإنسان التفسير الصحيح الشامل للوجود الكوني والإنساني والانحراف في العقيدة ينشأ عنه انحراف في العبادات والعادات ويترتب على ذلك فساد في السلوك الاجتماعي.

يقول الأستاذ/ سيد قطب: «إن انحراف العقيدة وفسادها ينشيء آثاره السيئة في حياة الجماعة الواقعية، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والشعائر التعبدية، وتصحيح العقيدة ينشيء آثاره الطيبة في صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها»[(١)].

ومن ثم كانت عناية الإسلام الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التي يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق وعلاقة الخلق بها، فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وآدابهم وأخلاقهم، فما يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية وتتبين خصائصها واختصاصاتها[(٢)]، والعقيدة الصحيحة لا تتغير ولا تتبدل باختلاف الأنبياء والرسل، فالأصول الإيمانية واحدة في جميع الأديان السماوية.

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

---

(١) في ظلال القرآن: ج٤، ص٢٢٢٣.

(٢) خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص٣٨.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1].

واليهودية ديانة سماوية صحيحة جاءت بالتوحيد الخالص على يد نبي الله موسى - عليه السلام -، ولكن القوم قد بحثوا في عقائدهم بعقولهم فضلوا وانحرفوا عن الطريق المستقيم، والسبب راجع في أنهم لم يعتمدوا في كلامهم على وحي الله السليم، فقد حرفوا التوراة وبدلوا فيها حسب هواهم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2]. وقد أخذ التحريف في التوراة مظهرين:

الأول: تحريف لفظي ويكون بأحد ثلاثة وجوه: بالتبديل أو بالزيادة أو بالنقصان.

الثاني: تحريف معنوي وذلك بتغيير مدلولات الألفاظ وترجمتها إلى ما يوافق هواهم.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

إن اليهودية المحرفة لا تصلح لإعطاء أي راغب في معرفة العقيدة الصحيحة وأصول الإيمان السليمة، لذا لم يبق إلا الإسلام فهو وحده القادر على العطاء الدائم من أصول ثابتة لا أباطيل فيها ولا تحريف وهو كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء وما يرجوه من كمال ورفعة، قال تعالى:

---

(١) سورة الشورى، الآية (١٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٧٩).

(٣) سورة المائدة، الآية (١٣).

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[١].

هذا إجمال يحتاج إلى شيء من التفصيل نوضح فيه مفهوم العقيدة وعقيدة الألوهية والنبوة واليوم الآخر وعقيدة شعب الله المختار وأرض الميعاد من خلال نصوص العهد القديم والمصادر اليهودية الأخرى نطرح ذلك كله على مائدة البحث العلمي للوقوف على مدى قدسية النصوص العقدية عند اليهود ومدى التزامهم بما أمر الله به، وهل هم على الحق سائرون أم عن ربهم معرضون.

ولقد جاءت الدراسة تحت عنوان:

«العقائد اليهودية بين الوحي الإلهي والفكر البشري»

مقدمة:

تمهيد: مفهوم العقيدة.

المبحث الأول: عقيدة اليهود في الإله.

المبحث الثاني: عقيدة اليهود في الأنبياء.

المبحث الثالث: عقيدة اليهود في اليوم الآخر.

المبحث الرابع: عقيدة شعب الله المختار.

المبحث الخامس: عقيدة أرض الميعاد.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.

وبالله التوفيق

---

(١) سورة المائدة، الآيتان (١٥، ١٦).

مفهوم العقيدة

كلمة عقيدة لغة مشتقة من "عقد" بمعنى ربط وشد وعزم، التي منها عقدة الحبل، وعقد البيع واليمين والعهد، ويبدو أن الكلمة استخدمت - شأنها شأن معظم الكلمات العربية - في مدلالوت حسية كعقدة الحبل، وعقد البناء، ثم نقلت إلى مدلولات معنوية: كعقد النكاح، والبيع، وعقد اليمين، والعهد، ثم استعملت في التصميم والاعتقاد(١).

فالعقيدة إذن ما انعقد عليه القلب، وصدق به وأطمأن إليه وأصبح يقيناً عنده لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك، والاعتقاد بهذا المفهوم اللغوي العام قد يكون نتيجة لتوهم غير حقيقي أو نتيجة لدليل صادق، ومن ثم فإن العقيدة قد تكون صادقة وقد تكون عقيدة باطلة فاسدة.

أما العقيدة في الاصطلاح فهي:

«الجانب النظري الذي يجب على المؤمن الإيمان به أولاً إيماناً يقينياً مبنياً على التصديق الجازم، مع الشعور بالرضا والقبول، وإقبال الناس عليه، والاطمئنان به»(٢).

وقد وردت أصول هذه العقيدة في آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(٣).

وحديث جبريل الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان،

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، د. محمد عبدالرحمن بيصار، ص٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

وجاء فيه عن الإيمان (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[1].

كما اهتم القرآن بالآثار المترتبة على العقيدة وتمكنها في النفس من ثقة بالله، وتوكل عليه، ورضي بقضائه وقدره.

ويقرر الإسلام أن أعمال الإنسان - أياً كانت - لا قيمة لها إذا لم تقم على قاعدة من الإيمان الصحيح، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2]، فالعمل - أياً كان نوعه عبادة أو سلوكاً أو معاملات - لا يقبل إلا إذا كان قائماً على الإيمان الحق.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، ج١، ص٢٩.

(٢) سورة النور، الآية (٣٩).

المبحث الأول
عقيدة اليهود في الإله

إن الغاية من الرسالات السماوية التي تنزلت من قبل الحق تبارك وتعالى والتي اختص بها أنبياءه ورسله هي: أن يعرف الناس أن لهذا الكون إلهاً واحداً مالك الملك خالق كل شيء واجب الوجود واحد في ذاته وصفاته وأن هذا الإله هو الذي يجب أن يتوجه إليه الناس بالعبادة فيعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

ومن أجل هذه الغاية توالت رسالات الله تترى على البشرية، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[١] فما من نبي ولا رسول إلا وقال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[٢] وهذا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى نبينا محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣].

فجميع رسل الله وأنبيائه قاموا بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وكانت هذه القضية هي الركيزة الأولى لدعوتهم وموضع اهتمامهم الأول. والدين الذي جاء به موسى – عليه السلام – لم يشذ عن هذه القاعدة، فقد كانت قضية التوحيد – بالإضافة إلى قضية الإيمان باليوم الآخر – من أول ما أُوحي إلى موسى – عليه السلام – عند أول اتصال له بالوحي، وفي اللحظات الأولى من تكليفه بالرسالة.

قال تعالى مخاطباً نبيه موسى – عليه السلام –: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾[٤].

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٤٤.
(٢) سورة هود الآية ٥٠.
(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٥.
(٤) سورة طه الآيات ١٣ – ١٦.

فهذا النص القرآني يفيد أن عقيدة التوحيد من أسس الدين الذي جاء به موسى عليه السلام، كغيره من إخوانه الرسل والأنبياء الذين جاءوا من قبله ومن بعده.

كما أن التوراة المتداولة بيننا على الرغم من تعرضها لكثير من مراحل التغيير والتبديل والتزييف إلا أننا نجد في بعض النصوص التي سلمت من التحريف الدعوة إلى توحيد الله، توحيداً خالصاً من الند والشريك.

فقد جاء في الوصية الأولى من الوصايا العشر:

"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن"(١).

وجاء في سفر التثنية: "الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه"(٢).

وفي مزامير داود "يا الله من مثلك:"(٣) "من هو إله غير الرب:"(٤).

وفي سفر أشعياء: "أنا الرب، وليس آخر، لا إله سواي، نطقتك وانت لم تعرفني؛ لكي يعلموا الذين هم من مشرق الشمس ومن مغربها أنه أنا الرب وليس آخر"(٥).

غير أن بني إسرائيل لم يحافظوا على عقيدة التوحيد بل انحرفوا عنها، وغيروا وبدلوا، ولم تبق هذه العقيدة على صفائها ونقائها كما كانت حين دعا إليها موسى - عليه السلام -.

كذلك إنهم لم يستوعبوا الصورة المنزهة لله سبحانه، والتي وردت في

---

(١) سفر الخروج الاصحاح العشرون
(٢) سفر التثنية الإصحاح الرابع: ٣٩.
(٣) المزامير: ٧١/١٩.
(٤) السابق ١٨ / ٣١.
(٥) أشعياء: ٤٥ / ٥.

التوراة، المنزلة ولم يرتفعوا إلى ما جاء بها من تنزيه الله سبحانه فقصدوا إلى تصويره – جل شأنه وتعالى علواً كبيراً – بصورة حسية ونسبوا إليه صفات النقص والجهل مع غيرها من صفات الحوادث.

"ويظهر من استقراء تاريخ اليهود – وما ورد بشأنهم في القرآن الكريم وما ورد في أسفارهم نفسها – أن فهمهم للذات العلية لم يكن في أي عصر من العصور مطابقاً كل المطابقة لذلك الوضع الصحيح الذي جاء به أنبياؤهم"(١).

وكان اتجاههم إلى "التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ... ومن ثم ظهروا للتاريخ بدائيين، يعبدون الأرواح والأحجار، وأحياناً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود"(٢).

لم يكتف اليهود بهذا، بل تحدثوا عن الخالق سبحانه بأسلوب يثير الاستغراب فعلاً، فالله سبحانه وتعالى – حسب مفهومهم – يتعب، ويستريح، ويندم، ويتراجع عن أمور قضى بها، والله – عندهم – يسير في الغمام أو يسكن فيه، وعندما بنى الهيكل فضل الإقامة فيه، إلى آخر ما هنالك من الأوصاف التي لا تليق بالذات الإلهية، والتي تدل على أن اليهود يعطون لعقيدتهم مفهوماً مادياً حسياً.

تبدأ مفاهيمهم العقدية الفاسدة مع النصوص التي جاءت تتحدث عن عملية خلق الكون، فيقولون بأنه بعد إتمام عملية الخلق، احتاج الرب ليوم سابع للراحة، ووافق عندهم ذلك يوم السبت.

جاء في سفر التكوين: "فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه"(٣).

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – علي عبدالواحد وافي ص٢٦ بتصرف.
(٢) اليهودية – د/ أحمد شلبي ص١٧٢.
(٣) سفر التكوين الإصحاح الثاني الفقرات الأولى.

ولقد وردت قصة خلق السموات والأرض في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وأن الله تعالى خلقهما وما بينهما في ستة أيام كما جاء بها العهد القديم، ولكن القرآن الكريم رد فرية أن الله استراح في اليوم السابع لما لحقه من التعب والإعياء. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[1]،[2].

ومن ذلك أيضاً: ما ورد في سفر التكوين عن قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة: فقد صورت هذه القصة الرب على هيئة بشرية، وخلعت عليه صفات إنسانية، هي من مجموعة الرذائل والنواقض.

"إذ يذكر السفر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من الشجرة المعروفة، وخوفهما مضللاً لهما ومخفياً عنهما حقيقة هذه الشجرة، فذكر لهما أن الأكل منها يفضي إلى الموت، مع أن الأكل منها يفضي إلى رقي التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة، ولكن الإله كان يريد إبقاءهما جاهلين؛ حتى لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته، ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها، أدركا ما كان يجهلانه من قبل، فعرفا أنهما مكشوفا السوأتين، وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة، فلما قدم الإله - مخترقاً الجنة - نحوهما وسمعا صوته وحركته - وهو يسير ويتمشى في المساء الرطب اختبآ - حتى لا يراهما، وأخذ الرب ينادي على آدم - ولم يكن آنذاك قد علم أنه أكل من الشجرة المحرمة - فأخذ يستجوبهما، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة، وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما، وأن الإنسان قد أصبح بذلك أحد الآلهة، لتمييزه بين الحسن والقبيح، وأنه قد أصبح لزاماً أن يطرده من الجنة؛ حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى - هي شجرة الخلد - فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهي صفة البقاء"[3].

---

(١) سورة ق الآية ٣٨.

(٢) قام موريس بوكاي بتجميع الآيات الخاصة بالخلق في القرآن الكريم ودرسها دراسة تفصيلية، راجع: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٥٧ - ٢٣٤.

(٣) اليهودية واليهود - علي عبد الواحد وافي ص٣٥، وانظر الإصحاح الثالث من سفر التكوين.

إنها حقاً لمقولات تثير السخرية من عقيدة تصل في الهرطقة إلى هذا المستوى، صورة غريبة أن يختبئ مخلوق من وجه الخالق فيستفسر منه أين أنت ؟ والاختباء يحصل بعد سماع وقع الخطى في الجنة حيث كان يتمشى الرب الإله!.

ولعل من الأهمية بمكان: أن أشير – هنا – إلى قصة آدم وحواء كما وردت في القرآن الكريم كنوع من التعقيب القرآني على ما ذكرناه من أباطيل التوراة اليهودية، ولكي يتبين لنا ما اعترى هذه القصة – كغيرها من القصص الدينية – من تغيير وتبديل.

لقد تعرض القرآن بشيء من التفصيل لقصة آدم وحواء في الجنة في ثلاث سور:

في سورة البقرة: يقول تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1].

وفي سورة الأعراف: يقول سبحانه ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآيتين ٣٥ –٣٦.

(٢) سورة الأعراف: الآيات ١٩ – ٢٥.

وفي سورة طه يقول سبحانه مشيرا إلى إبليس: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

ويهمنا هنا أن نشير إلى عدة نقاط من خلال فهم هذه النصوص وهي:

النقطة الأولى:

أن القرآن الكريم قد عرض لعدة مواقف من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة بدون أن يبدو في أي موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث.

وهذا عكس ما ورد في رواية التوراة حيث خلعت على الرب سبحانه صفات إنسانية غير محببة إلى النفس البشرية، فقد طرد آدم وحواء - وفقا لهذه القصة التوراتية - لا لمجرد مخالفتهما للمحظور الذي حذرهما منه الرب، ولكن لأنهما سلباه صفة كان يود أن يستبقيها لنفسه دون البشر، هي معرفة الخير والشر، ومن ثم فقد أسرع الرب في طردهما من الجنة قبل أن يتمكنا من أن يسلباه صفات إلهية أخرى وبصفة خاصة صفة الخلود.

النقطة الثانية:

أن القرآن الكريم أشار إلى شجرة واحدة منهي عنها، دون أن يبين حقيقتها أو يحدد ماهيتها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[2]. ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا﴾[3].

(١) سورة طه: الآيات ١١٧ - ١٢٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٥، سورة الأعراف الآية ١٩.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٢.

وهذا عكس ما ورد في توراة اليهود: أن الجنة فيها شجرتان محظور على الإنسان أن يأكل منهما، هما: شجرة المعرفة، وشجرة الحياة.

أما وصف الشجرة بأنها شجرة الخلد فقد جاء ذلك على لسان الشيطان من باب الخداع والكذب على آدم وعلى سبيل الإغراء حتى يأكل منها ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾[1].

وتبين لنا سورة الأعراف أن الشيطان قد وسوس لآدم وحواء بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2].

فكل هذا داخل في إطار الوسوسة والتضليل، وليس له أي أساس من الصحة، اللهم إلا في تصور الشيطان الرجيم.

النقطة الثالثة :

أن القرآن الكريم قد نص صراحة على أن الشيطان هو الذي وسوس لآدم وحواء فأولهما عن الشجرة وأخرجهما من الجنة، دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى ما ورد في سفر التكوين عن الحية وكيف أغوت حواء وكيف حلت بهم عقوبة الرب.

النقطة الرابعة :

أن القرآن الكريم لم ينسب وسوسة الشيطان إلى حواء وحدها، ولم يذكر أنها أكلت أولا من الشجرة ثم قامت بإغواء وإغراء آدم مثلما ذكرت رواية التوراة، إنما نص القرآن الكريم أن الشيطان قد وسوس لكل منهما وأنهما أكلا معاً. قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[3] ﴿فَوَسْوَسَ

(١) سورة طه: الآية ١٢٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٦.

لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾[1]. ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾[2].

بل إن الآيات التي وردت في سورة "طه" تنسب وسوسة الشيطان إلى آدم وحده وتنسب إليه المعصية والغواية. قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[3].

وتبين الآيات الكريمة أن الله قد عهد إلى آدم وأنه هو الذي نسى ولم يكن له العزم الذي يمنعه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[4].

وكل هذا يعني أن القرآن الكريم لم يلق بالمسئولية على حواء، وأنها هي التي ارتكبت الخطيئة الأولى كما يشاع الآن، وأنها أساس الشر، ومنبع الرجس والبلاء مما يرجح أن كتبة التوراة قد نقلوا ذلك عن الأديان الوثنية.

هذا، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن القرآن الكريم قد ذكر صراحة أن آدم قد تاب إلى الله فاستجاب الله توبته وكذلك حواء. ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[5].

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6] وبهذا يكون قد تبين لنا أن قصة آدم وحواء ك –ما وردت في القرآن الكريم – تختلف عن قصة التوراة اختلافاً جوهرياً، ففضلا على اختلافهما

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٢.
(٣) سورة طه: الآية ١٢٠ – ١٢١.
(٤) سورة طه: الآية ١١٥.
(٥) سورة طه الآية ١٢٢.
(٦) سورة الأعراف الآية ٢٣.

في طريقة العرض فإنهما تختلفان في المغزي والهدف، فإذا كان آدم قد أخرج من الجنة في قصة القرآن الكريم فلأن سكناه في الأرض كانت مقدرة له من قبل بدليل قوله تعالى للملائكة قبل خلقة آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فإذا كان عصيان آدم لله مقدراً له من قبل فإن هدف القصة يتضح بعد ذلك، وهو تأكيد النوازع الإنسانية وإبراز جوانب الضعف التي جعلتها موضعاً لإغراء الشيطان على الدوام، فالمسألة تتعلق بتحريم وعصيان لهذا التحريم، أو هي بتعبير آخر اختيار لطبيعة الجنس البشري، تلك الطبيعة التي لازمت الإنسان منذ بدء الخليقة حتى اليوم، وهي التي تتمثل في ضعفه أمام قوة الإغراء المادي"[2].

ومن القصص التي وردت في أسفار اليهود - وبالتحديد في سفر التكوين-: قصة تصور الإله مجسداً ومحدوداً، وأنه يأكل ويشرب، ويستريح بعد تعب، وهذا ما جاء في قصة إهلاك قوم لوط، وتدمير قريتي سدوم وعمورة، وفي هذا يقول الإصحاح ما نصه:

"وظهر له الرب عند بلوطات ممرا - وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار - فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال: سيد، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل من ماء، واغسلوا أرجلكم، واتكئوا تحت شجرة، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا: هكذا تفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة وإلى سارة، وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً، أعجني واصنعي خبزا ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عجلا رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية - فتحي محمد الزغبي ص ٥٧٤ وما بعدها.

فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم، وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا "[١].

وقد ناقش الإمام ابن حزم هذه الرواية، ونقدها نقداً لاذعاً، فذكر أن فيها آيات شنيعة من البلاء:

"فأول ذلك: إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأي الثلاثة نفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه، بلا كلفة، بل هو أشد من التثليث؛ لأنه إخبار بنصوص ثلاثة، والنصارى يهربون من التشخيص، وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث، وهذا - كما ترى - في غاية الفضيحة، فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهذا ما يقولون، فعليهم في ذلك - أيضاً - فضائح عظيمة، وكذب فاحش من وجوه:

أولها : من المحال والكذب: أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له، وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة.

وثانيها : أنه يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد، وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل-، وهذا - أيضاً - محال في الخطاب.

وثالثها : سجوده للملائكة، فإن من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله، فهذه كذبة، وإن قالوا: بل لله سجد، فهذه كذبة ولا بد، أو يكون الله - عندهم - هم الثلاثة المتجلون. لابد من إحداها، وعادت البلية أشد ما كانت عليه

ورابعها : خطابه لهم بأنه عبدهم، فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلي له فقد عادت البلية، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشى لله أن يخاطب إبراهيم - عليه السلام - بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقا مثله، مع أن من المحال: أن يخاطب ثلاثة بخطاب الواحد.

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر.

وخامسها: قوله "يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم، وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم ".

فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهي التي لا سوى لها ولا بقية بعدها، والتي تملأ الفم، وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب، لأن إبراهيم – عليه السلام – لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز، فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة.

فإن قالوا: ظنهم ناساً، قلنا: هذا أكذب لأن في أول الخبر يخبر أن الله تجلى له، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق حاشى له من هذا الضلال.

وسادسها: إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن وحاشى له أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى، لا، ولا عن الملائكة "[1].

وقد ذكر القرآن الكريم القصة على حقيقتها في أكثر من سورة، فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين، فظنهم بشراً، فقدم إليهم طعاماً، فلم تصل أيديهم إليه، لأن الملائكة لا يأكلون.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾[2].

فالنص القرآني "يبين الفارق بين التجسيم والتنزيه، فالضيوف الثلاثة الذين ورد ذكرهم في سفر التكوين كانوا يأكلون ويشبعون من الطعام. إلا أن القرآن الكريم يروي قصة هؤلاء الضيوف، ولا يروي أنهم أكلوا وشبعوا، بل جلسوا إلى الطعام ولم تصل أيديهم إليه، وسألهم إبراهيم أن يأكلوا فلم يفعلوا،

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل – ابن حزم ج١ ص ٢٢٠.
(٢) سورة هود: الآيتان ٦٩، ٧٠.

فأوجس منهم خيفة، وعلم من ذلك أنهم من غير البشر، وأن لهم شأناً غير شأن ضيوف الزاد والمقام "[1].

ويقول الإمام الرازي: " اعلم أن الأضياف إنما امتنعوا من الطعام لأنهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنما أتوه في صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوفا بالضيافة "[2].

وبهذا يتضح الفرق بين عبارات القرآن الكريم الوجيزة المفيدة المنزهة لله تعالى وعبارات التوراة في تشبيه الله بعبادة وتطويلها غير المفيد.

ويذكر سفر التكوين - أيضاً - عن يعقوب أنه لقي الله ذات ليلة وأخذ يصارعه حتى بزغ الفجر حيث جاء فيه:

"فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأي أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما أسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب، وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك.

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي "[3]. وقد رد القرآن الكريم على هذا الزعم وأثبت لله تعالى كل كمال، وأنه جل شأنه مخالف للحوادث. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4]. ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5].

وجاءت في التلمود عندهم مقولات تحمل معاني تفيد فساد العقيدة، وهي لا تقل في طرحها الوقح عن نصوص العهد القديم.

---

(١) إبراهيم أبو الأنبياء - عباس العقاد ص ٧٥.
(٢) التفسير الكبير - للفخر الرازي ج١٨ ص ٢٤.
(٣) سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثين.
(٤) سورة الشورى الآية ١١.
(٥) سورة الملك الآية ١.

من خلال ما سبق يتضح لنا: أن دعوة التوحيد التي جاء بها موسى – عليه السلام – إلى بني إسرائيل لم تبق على صفائها ونقائها، بل انحرف القوم عن العقيدة السليمة، فأشركوا بالله وعبدوا العجل، ووصفوا الإله بالتعدد والتجسد، كما وصفوا الرب بصفات البشر، فهو يصارع، ويفعل الشر، ويتعب فيستريح ويبكي ويلطم.

وخلاصة القول :

" إن الطبيعة اليهودية – بشكل عام – أقرب إلى المادية منها إلى الروحية، وأميل إلى التجسيد منها إلى التجريد، وقد انعكس ذلك على فكرتهم عن الله، فلم يستطيعوا أن يتصوره كائناً سامياً منزهاً عن المادة ولوازمها، وإنما تشير كتبهم المقدسة في كثير من المواضع إلى ماديته وتجسده، وتمثله في أشياء قرروا أنها من خلقه "(١).

---

(١) قصة الأديان – رفقي زاهر ص ٦٤.

المبحث الثاني
عقيدة اليهود في الأنبياء(١)

خلق الله الإنسان وميزه على سائر المخلوقات بالعقل والفهم والإدراك ومنحه كثيراً من المواهب والقدرات التي يتفوق بها على سائر الحيوانات.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٢).

ولقد استطاع الإنسان – بما وهبه الله من عقل وفهم – أن يعرف كثيراً من الأمور التي تتعلق بالحياة، وأن يذلل كثيراً من عقباتها، وأن يتغلب على كثير من صعابها، وأن يدرك أن من الأعمال ما هو مفيد وما هو ضار، ومن الأشياء ما هو حسن وما هو قبيح.

والناس مع اتفاقهم – تقريباً – في معرفة الحسن والقبيح والسيئ والطيب إلا أنهم عند الحكم على بعض الأعمال يختلفون في الحكم عليها، متأثرين بحكم اختلافهم في النشأة والبيئة والتربية والمزاج وغير ذلك من العوامل المؤثرة التي يقعون تحتها، من أجل ذلك أرسل الله الرسل؛ ليبينوا للخلق ما يصلح لدنياهم وأخراهم؛ حتى لا يكون لهم عذر بعد ذلك.

---

(١) النبوة أو الوحي هي المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما والنبي هو مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده، ويسمى العبرانيون النبي "ينيا"، أي خطيباً أو مفسراً، ويستعمل في الكتاب المقدس بمعنى مفسر الله، كما هو في الإصحاح ٧ الآية ١ من سفر الخروج.
راجع في ذلك رسالة في اللاهوت والسياسة – سبينوزا ص ١٢٣.
وكلمة نبي في عرف اليهود واسعة المدلول، فهي تشمل الأنبياء الذين اختارهم الله تعالى لرسالته، كما تشمل الكثير من أدعياء النبوة الذين كان منهم الساحر، والمنجم، والمنافق وغيرهم، انظر مقارنة الأديان د / عوض الله حجازي ص ١٦٥.

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١).

ومن العقائد التي يجب على المسلم اعتقادها: أن أنبياء الله ورسله معصومون من المعاصي والذنوب، طهر الله بواطنهم وظواهرها منها، لا يتركون واجباً، ولا يفعلون منهياً عنه، فلا يكفرون، ولا يكذبون، ولا يسرقون، ولا يزنون، ولا يقتلون ظلماً، ولا يجورون في الأحكام، ولا يحقدون، ولا يكتمون ما أمروا بتبليغه، فهم الصفوة من البشر، اختارهم الله تعالى لتبليغ رسالته.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾(٢)، ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾(٣).

يقول الإمام/ محمد عبده:

"عندما تحدث الإسلام عن صفات الأنبياء عليهم السلام أثبت لهم جميعاً علو فطرتهم وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية وسلامة أبدانهم مما تنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات المتقدمة، وأن أرواحهم معدودة من الجلال الإلهي ما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية"(٤).

وملاك الأمر: أن الله تعالى لا يرسل إلى خلقه إلا خيارهم وصفوتهم خلقاً وسلوكاً ونسباً. هذه على الإجمال صورة الأنبياء في الإسلام، فما هي ملامح صورتهم عند اليهود؟.

للإجابة على هذا السؤال وحتى تتضح الصورة سنتناول أهم الأنبياء

(١) سورة النساء الآية ١٦٥.
(٢) سورة الحج الآية ٧٥.
(٣) سورة غافر الآية ١٥.
(٤) رسالة التوحيد: محمد عبده ص٦٥.

بالبحث، مستعينين بما جاء عنهم في العهد القديم وفي القرآن الكريم وفي مؤلفات العلماء، وذلك فيما يلي:

١ - نوح عليه السلام

تروي أسفار العهد القديم أن نوحاً - عليه السلام - شرب الخمر وأسرف في سكره حتى تعرى وكان أضحوكة لبعض بنيه.

جاء في سفر التكوين: "وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً، وشرب منه الخمر، فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصروا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته وقال: مبارك إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم"(١).

هذا شيخ الأنبياء الصبور الشكور "نوح" - عليه السلام - يصورونه سكيراً يشرب الخمر، ويتعرى داخل خبائه، حتى يرى عورته أصغر أبنائه ويخبر أخويه ساخراً.

ولنا أن نتساءل: "من أين لليهود علم بهذه الأكاذيب، وهؤلاء جميعاً كانوا قبلهم؟! لقد نسبوا ذلك إلى الوحي كذباً وافتراء،ودونوه في صلب كتبهم الدينية وبدهي أن الأنبياء - عليه السلام - براء من هذا الدنس، ولم يزد اليهود أن قدموا صورة أنفسهم هم، وما تشتهيه من الدنايا والرذائل، وجعلوا من هذه الأكاذيب مبرراً ومسوغاً.

وآية ذلك: أن كبار أنبيائهم لم يفلتوا من هذا المستنقع اليهودي الدنس بل أوغلوا بهم في الخطيئة أكثر من غيرهم، لتكون القدوة شاخصة والهدف مباشراً، والتهافت أسرع"(٢).

---

(١) سفر التكوين ٩: ٢٠ - ٢٧.
(٢) معركة الوجود بين القرآن والتلمود - د/ عبدالستار فتح الله سعيد ص١٥١-١٥٢.

ويري الباحث أن الأمر لا يعدو أن يكون تأصيلاً لنظرية بني إسرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالاتهم فوق كل السلالات، ووراء اختلاق هذه القصة الخبيثة باعثان شنيعان خسيسان هما :

أولهما : تأصيل اصطفاء السلالة الإسرائيلية ورفعها - عرقياً وعنصرياً - فوق الكنعانيين أعدائهم التقليديين، ذلك أن الكنعانيين إن هم إلا الفلسطينيون أصحاب الأرض التي استولى عليها بنو إسرائيل، وكانت بينهم دماء وحروب وثارات !!.

وثانيهما : التشنيع على أول رسل الله نوح - عليه السلام - والتشغيب عليه، وتنفيذاً لخطتهم الخبيثة في تشويه صورة كرام البشر عموماً، ورسل الله خصوصاً"(١).

إذا كانت هذه صورة نوح - عليه السلام - في العهد القديم، فإن القرآن الكريم قد برأ ساحته مما نسب إليه، وجعله من المصطفين الأخيار الذين اختيروا لهداية الناس، فبلغ رسالة ربه كما أمره بإخلاص تام وصبر على أذى قومه، فاستحق بجهاده وصبره وإخلاصه أن يكون من أولي العزم من الرسل، وقد أطلق اسمه على سورة من سور القرآن الكريم إعلاء لذكره وتشريفاً له وثناء عليه.

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾(٢). ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾(٣).

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ

---

(١) الإيمان، د/ محمد عبد الله الشرقاوي ص٢٦٦.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧.
(٣) سورة الإسراء الآية ٣.

عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

٢ – إبراهيم عليه السلام

ينسب العهد القديم إبراهيم – عليه السلام – أنه كان يدفع زوجته إلى الفاحشة في سبيل الحصول على الهدايا والأموال.

جاء في سفر التكوين ما نصه: "وحدث جوع في الأرض، فانحدر إبرام إلى مصر؛ ليغترب هناك؛ لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فسيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك قولي: إنك أختي؛ ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل إبرام مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة إبرام، فدعا فرعون إبرام وقال: ما الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: إنها أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له"[٣].

فظهر من هذه الحكاية أنه لو لم يقل عن زوجته أنها أخته ما كان أخذها فرعون، وأن الكذب بقوله: هي أختي ما كان لمجرد الخوف، بل كان لرجاء

---

(١) سورة الصافات الآية ٧٥ – ٨١.
(٢) سورة آل عمران الآية ٣٣.
(٣) سفر التكوين ١٢: ٢٠.

حصول المنفعة والخير أيضاً، بل إن رجاء حصول الخير والمنفعة كان أقوى ولذلك قدمه في كلامه.

على أن خوفه من القتل مجرد وهم، سيما إذا كان راضياً بتركها، فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً.

وكيف يجوز العقل صدور مثل هذا عن إبراهيم - عليه السلام - ؟ وكيف يرضى بترك حريمه وتسليمها للغير ولم يدافع عنها ؟ حاشى جنابه الشريف أن يرضى بذلك، بل لا يرضى بمثله من له أدنى غيرة فكيف إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء وصفوة الأمناء"[(١)].

ويضيف الشيخ عبد الكريم الخطيب إلى ما سبق قائلاً:

"فكم سقطة وكم زلة وقع فيها إبراهيم في هذا الذي تقول التوراة عنه ؟

لقد كذب، فقال عن امرأته: إنها أخته !.

ثم لقد حرض زوجته ساراى على أن تكذب !.

ثم لقد باع امرأته لقاء الخير الذي كان يرجوه من الإتجار بحسنها وجمالها، ثم لقد قبض ثمن هذا "فصنع له خير بسببها، وصار له بقر وغنم وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال !!.

أيرضى إنسان من الناس له مروءة وخلق، أو بقية من مروءة وخلق أن يبيع امرأة ويتجر بها، وبحسنها وجمالها ؟ فكيف بنبي من أنبياء الله! بل وبأبي الأنبياء وخليل الرحمن!؟.

وإذا كان الأنبياء هم الأسوة والقدوة للناس فيما يأتون وما يدعون من أعمال فهل من حرج على الناس إن هم فعلوا هذا ؟ بل إن ذلك هو ما ينبغي أن يفعلوا، إن أرادوا أن يحمدوا، ويشرفوا !.

---

(١) السيف الصقيل في الرد على البرهان الجليل - الشيخ بكر أفندي التميمي الداري ص٧، ٨.

وهل هذا الذي ينسب – كذباً وزوراً – إلى هذا النبي الكريم مما يكسب حمداً وشرفاً !.

قد يكون ذلك مما يتعامل به اليهود، ومما جاء أنبياء الله لمحاربته فيهم ولكنه لا يكون أبداً مما يتعامل به الناس وتقبله الحياة"[١].

وقد كرر إبراهيم فعلته هذه – حسب ما يزعمه سفر التكوين – حينما هاجر إلى منطقة "جيرار"، وكاد "أبو ملك" حاكم جيرار يرتكب الإثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقتها، وأنها امرأة إبراهيم لا أخته، فأحضره وعاتبه على كذبه، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران والعبيد والإماء، فكأنما كان إبراهيم يتاجر بامرأته هذه متنقلاً بها من بلد إلى بلد"[٢].

هكذا تتحدث أسفار اليهود عن إبراهيم – عليه السلام – فتنسب إليها فعلة لا يقبلها على نفسه أحط الناس خلقاً، فضلاً عن أن يكون ذلك نبي الله وخليله إبراهيم – عليه السلام –.

فلا يعقل أن يفرط إبراهيم – عليه السلام – في عرضه إلى هذا الحد فيتاجر بزوجته لينال من ورائها مالاً وهدايا، وهو الذي وصفه رب العالمين بالحلم والخشوع والتضرع فقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٣].

كما أن إبراهيم – عليه السلام – في آيات القرآن لم يكن صادقاً فحسب بل كان صديقاً نبياً قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[٤].

وقد وصفه القرآن الكريم بأنه أمة وقدوة وجامع لخصال الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل – عبد الكريم الخطيب ص٥٧.
(٢) اليهودية واليهود – علي عبد الواحد وافي ص٧٢.
(٣) سورة هود الآية ٧٥.
(٤) سورة مريم الآية ٤١.

حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[1].

ولقد أتى الله إبراهيم الرشد منذ الصبا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[2] وأنه قد وفى بما كلف به ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3].

ومن الشبهات الشائكة التي تتصل بإبراهيم – عليه السلام – في الإسلام ما ورد في البخاري ومسلم ما يفيد أن إبراهيم – عليه السلام – قد كذب وسجل له القرآن له ذلك.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "لم يكذب إبراهيم – عليه السلام – قط إلا ثلاث كذبات: اثنتين في ذات الله:

قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة.

فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه إنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك .."[4] .... الحديث.

بادئ ذي بدء أقول: معروف بداهة أن الكذب قل أم كثر لا يتصور وقوعه من الأنبياء، لأن منصب النبوة أرفع من ذلك، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم ويجعل الشك يتطرق إلى الشرائع، ويمنع الثقة بحملتها.

لكن ما معنى تسمية الحديث لها كذبات ؟.

قال ابن حجر: "إطلاقة الكذب على الأمور الثلاثة لكونه قال قولاً يعتقده

---

(١) سورة النحل الآيات ١٢٠ – ١٢٣.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٥١.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٣٥٨ وانظر صحيح الإمام مسلم بشرح النووي – كتاب الفضائل – باب من فضائل إبراهيم الخليل، ج٥، ص١٢٥.

السامع كذباً، لكنه إذا حقق لم يكن كذباً؛ لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين، فليس بكذب محض"[1].

وقال ابن عقيل: "دلالة العقل تطلق ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به؛ ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم - عليه السلام - يعني إطلاق الكذب على ذلك - إلا في حالة شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين؛ دفعاً لأعظمهما، وأما تسمية إياها كذبات فلا يريد أنها تذم، فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلاً لكنه قد يحسن في مواضع. وهذا منها"[2].

ونقل النووي عن المازري: أن الكلمات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع، وأما في نفس الأمر فليس كذباً مذموماً؛ لوجهين:

أحدهما: أنه ورَّى بها، فقال في سارة: أختي في الإسلام، وهو صحيح في باطن الأمر، وفي قوله: إني سقيم أراد الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم، فقال: إني سقيم، أي سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً، وقيل: سقيم القلب، مغتم بضلالكم، وأما قوله: "بل فعله كبيرهم هذا" فهو من قبيل التهكم بهم وإلزامهم الحجة.

وزاد قتيبة وطائفة قولهم: جعل النطق شرطاً لفعل كبيرهم، أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، أي ربما أنهم لا ينطقون فلم يفعله.

وقال الكسائي: يوقف عند قوله بل فعله، أي فعله فاعله فأضمر، ثم يبتدئ بقوله كبيرهم هذا فاسألوهم عن ذلك الفاعل، وأما غير هؤلاء فقد ذهب إلى أن الجملة على ظاهرها وجوابهما ما سبق.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٦ ص٤٥١.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

والوجه الثاني: أنه لو كان كذباً لا تورية لكان جائزاً في دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً مختفياً ليقتله، أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصباً وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكاره العلم به، وهذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظلم، فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم.

وقد جاء ذلك مفسراً في غير مسلم فقال: ما فيها كذبة إلا يماحل بها عن الإسلام، أي يجادل ويدافع، قالوا وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعاً له وحظاً، مع كونها في ذات الله تعالى، قال العلماء، والواحدة في شأن سارة هي – أيضاً – في ذات الله تعالى؛ لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة.

قال المازري: وقد تأول بعضهم هذه الكلمات وأخرجها عن كونها كذباً قال ولا معنى للإقناع من إطلاق لفظ أطلقه رسول الله ﷺ، وعقب النووي قائلاً: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع؛ لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح، لا مانع منه"[(١)].

هكذا كان إبراهيم المجاهد بنفسه وولده وماله لله، والذي حطم الأصنام وتحدى الجبابرة، وألقي من أجل دعوته في النار فأنجاه الله، في كفاح طويل وجهاد موصول كان به للناس إماماً، وعلى مدارجه ومن نسله درج الأنبياء، ومن ثم فليس صحيحاً ما نقل عن إبراهيم – عليه السلام – مما روته عنه التوراة المحرفة.

٣ – لوط عليه السلام

تنسب التوراة إلى نبي الله لوط – عليه السلام – بأنه قد ارتكب جريمة الزنا مع ابنتيه وأنه قد شرب الخمر حتى فقد وعيه ووقع فيما حرمه الله.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، ج١٥، ص١٢٤، ١٢٥ بتصرف – وراجع تاريخ الدعوة – جمعة الخولي، ج١، ص١٧٠.

هذه القصة لا يمكن أن تحدث إلا في مجتمع فاقد للقيم عديم الالتزام بها، هذا مع العلم أن ابنتي لوط كانتا من الناجين من قومه؛ لأنهما لم تعصيا، فكيف لهما يا ترى أن تحصل منهما أفعال شنيعة في المستوى الذي ورد في سفر التكوين ؟.

وأنا -هنا- أنقل النص كما ورد في التوراة حتى يتبين للقارئ مدى افتراء اليهود على أنبياء الله ومدى التزييف والتحريف الذي لحق بالتوراة.

"وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل، وابنتاه معه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض، هلم نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي فاضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً، ودعت اسمه موآب. وهو أب الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة - أيضاً - ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمون، وهم أبو بنى عمون إلى اليوم"(١).

قصة بهذا المستوى إذا كانت تقع مع نبي وابنتيه الناجيتين معه فكيف الأمر يا ترى بالنسبة لسائر الناس ؟.

ويعلق على ذلك حبر من كبار أحبار اليهود بعد أن شرح الله صدره للإسلام في نهاية القرن السادس الهجري، فيكشف غرضهم الخبيث من وراء دس هذه القصة الوقحة في التوراة المنسوبة لموسى - عليه السلام - فيقول: "هذه الحكاية منسوبة إلى لوط نبي في التوراة الموجودة بأيدي اليهود فلم يقدروا على جحدها، فيلزمهم من ذلك أن الولدين "ممزريم"، "يعني أولاد زنى" إذ توليدهما على خلاف المشروع.

---

(١) سفر التكوين ١٩: ٣٠ - ٣٨.

وإذا كانت روث "راعوث" من ولد موآب، وهي جدة داود - عليه السلام - وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهم جميعاً من نسل الأصل الذي يطعنون فيه. وأيضاً، فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة وقد سقى خمرا حتى سكر سكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه، فضاجعته إحداهما واستنزلت منيه، وقامت عنه وهو لا يشعر كما نطق المرأة كتابهم وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحبل، لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب حسه لفرط سكره، ومما يؤكد استحالة ذلك: أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية، فعلقت أيضاً، وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن تعلق من أحدهم في ليلة، ويعلق منه - أيضاً - في الليلة الثانية.

إلا أن العداوة التي ما زالت بين بني عمون وموآب وبين بني إسرائيل، بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال؛ ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حق بني عمون وموآب.

ويبدي الإمام ابن حزم إعتراضه على هذه القصة؛ لأسباب ثلاثة هي :

أولا : ما ذكر عن بنتي لوط من قولهما: ليس أحد في الأرض يأتينا فنضاجع أبانا ونستبقى منه نسلاً، فهذا كلام أحمق في غاية الكذب، ذلك أن نسل آدم لم ينقطع، والمسافة بين المغارة التي سكن فيها لوط مع بنتيه، وبين قرية سكنى إبراهيم فرسخ واحد، لا يزيد، وهو ثلاثة أميال فقط.

ثانيا : كيف يضاجع لوط ابنتيه الواحدة بعد الأخرى ؟، فإن قالوا: لا ملامة عليه في ذلك لأنه كان سكرانا لا يعلم من هنا، قلنا : وماذا صنع حين رآهما حاملتين ؟ ثم رآهما تلدان وتربيان ولدين من الزنا ؟

ثالثا : أن القصة من أساسها متناقضة متهافتة مختلفة، ذلك أن التوراة ذكرت في مواضع أخرى أن سيدنا إبراهيم حين هاجر خرج بابن أخيه لوط فكيف يتركه إبراهيم في هذه المغارة شريداً طريداً وهو الذي آمن به، وتغرب مثله، ثم أصبح نبيا هو الآخر ؟

كيف يحدث كل هذا وهو على بعد ثلاثة أميال من عمه إبراهيم الذي تنكر

التوراة أنه كان غنياً، ويقولون في توراتهم: إنه ركب في ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر لحرب الذين سبوا لوطاً وماله، حتى استنقذوه وماله، فكيف يضيعه بعد ذلك التضييع؟

يقول ابن حزم: ليست هذه صفات الأنبياء ولا كرامتهم، ولا صفات من فيه شيء من الخير؟ لكن صفات الكلاب الذين وضعوا فيه الخرافات الباردة التي لا فائدة ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها، ونعوذ بالله من الضلال والخذلان"[1].

وهكذا لم يستطع العقل اليهودي أن يقدم صورة للنبي الكريم سوى صورة الرجل الذي يسكر بيد ابنتيه، ثم يفقد وعيه حتى يتطور معهما الواحدة بعد الأخرى في أشنع جريمة يمكن أن يرتكبها الرجل الحر مع أية امرأة كائنة من كانت، فما بالك إذا كانت هذه المرأة من صلبه؟!

إذا كانت هذه صورة لوط - عليه السلام - في العهد القديم، فإن القرآن الكريم قد وضعه في مكان رفيع مع إخوانه من الأنبياء - عليهم السلام - قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾[2]، ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[3].

٤- موسى عليه السلام

تصرح التوراة بأن الرب قد أمر موسى - عليه السلام - " أن يتكلم في مسامع الشعب، وأن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعه فضة وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين وأيضاً

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج١، ص٢٢٤ - ٢٢٥.
(٢) سورة الأنبياء الآيتان ٧٤ و٧٥.
(٣) الأنعام الآية ٨٦.

الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب[1].

ثم نسبوا إلى قوله: "وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين "[2].

"وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً، وأعطي الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعروهم فسلبوا المصريين "[3].

وهل يكون الله بهذا النص إلا آمراً رسوله بالسرقة ؟

وهل تكون سرقة الإسرائيليين مشروعة ؟

وهل يحل لهم آخذ مال الغير بلا استحقاق له ؟[4].

لا يستطيع عاقل أن يسلم بأن الله يأمر نبيه بالسرقة، معاذ الله.

ولكنها أخلاق اليهود على مر تاريخهم، فما من مكان يسكنون فيه إلا يقومون بنهبه وخرابه وعدم استقراره، ويزعمون أن الله أمر بهذا؛ افتراء على الله هذه صورة موسى - عليه السلام - في التوراة، أما صورته في القرآن فتختلف اختلافاً كلياً، فهو في القرآن أعظم أنبياء بني إسرائيل، وهو من أولي العزم من الرسل، بين القرآن أن موسى - عليه السلام - كان محل عناية ورعاية الله له منذ ولادته. قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[5] وخاطبه

---

(١) سفر الخروج ١١ / ٢، ٣.
(٢) سفر الخروج ٣٢ / ١٠ - ١٢
(٣) سفر الخروج ١٢ / ٣٥، ٣٦.
(٤) مقارنة الأديان، عوض الله حجازي، ص ٩١.
(٥) سورة طه الآية ٣٩.

بقوله: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[1]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[2]، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[3].

هذه صورة موسى – عليه السلام – في القرآن الكريم صورة كلها إجلال وتشريف والمكانة العالية الرفيعة.

٥- داود عليه السلام

نسبت التوراة إلى نبي الله داود – عليه السلام – أنه رأى امرأة جميلة فوقع في غرامها، وأمر بإحضارها إليه فضاجعها وحملت منه، ثم غدر بزوجها فدبر لقتله وتخلص منه، وذلك حتى يصل بضم هذه المرأة إلي حريمه.

جاء في صموئيل الثاني: "وأما داود: فأقام في أورشليم وقد أرسل جيشه بقيادة موآب ومعه الشعب الإسرائيلي للجهاد في سبيل الله، ومقاتلة أعدائهم بني عمون وكان في المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح إمرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت عليه واضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود، قالت: إني حبلي، فأرسل داود إلى موآب فقال: أرسل إليَّ أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب، ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: أنزل إلى بيتك واغسل رجليك، وخرج أوريا من بيت الملك، وخرج وراءه حصة من عند الملك وقام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لا تنزل إلى بيتك؟ قال أوريا

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٤.

(٢) سورة النساء ١٦٤.

(٣) سورة مريم الآية ٥١.

لداود: إن التابوت وإسرائيل يهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا أتي إلى بيتي لآكل وأشرب! لا أفعل هذا الأمر.

وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب، وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من وراءه، فيضرب ويموت، ففعل ذلك يوآب ومات أوريا الحثى، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها، ولما وضعت المناحة، أرسل داود وضمها إلى بيته، وعزى داود بتشبع ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابنا زرعا اسمه سليمان الرب والرب أحبه"(١) وأما الذي فعله داود فقبيح في عين الرب(٢).

هذه هي صورة داود – عليه السلام – في العهد القديم، نبي من أنبياء الله يتلصص على بيوت الغير ويتتبع حرمة جيرانه، ويزني، يتآمر، يقتل، يخادع، غارق في شهواته وملذاته، في الوقت الذي يخوض فيه جيشه الحرب مع الأعداء إن هذه الصفات لا يرتضيها فاسق وفاجر لنفسه، فكيف بنبي من أنبياء الله ؟!

"فالاغتصاب والزنا، والخيانة، وفقدان المروءة، والتحايل، والتخابث والخداع لتغطية جريمة السفاح، ثم قتل أوريا الحثى زوج المرأة، كل ذلك مناكر خسيسة، يترفع عنها آحاد الناس وعامتهم، فضلاً عن كرامهم وخيارهم وصفوتهم، فضلاً عن سادتهم وأنبيائهم ورسلهم !!

وأن أوريا الحثي زوج بتشبع في رأي بني إسرائيل الذين وضعوا أسفار العهد القديم، أشرف، وأوفر نبلا، وأكثر مروءة، وأحسن وفاء من داود، إذ لم يسمح له خلقه وشهامته وإخلاصه أن يذهب إلى بيته ويستمتع بزوجته، بينما جيش إسرائيل – ومعهم تابوت العهد – في الخيام والخنادق يحاربون، أما داود عندهم – فرجل غير عابئ بذلك، غير مستشعر لأدنى مسئولية، همه ملذاته ونزواته(٣).

---

(١) صموئيل الثاني ١١ / ٢٤.
(٢) المرجع السابق ١١ / ٢٧.
(٣) الإيمان – د / محمد عبد الله الشرقاوي ص ٢٨٤.

يقول الإمام الفخر الرازي: "إن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها، والرجل الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إليه مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه إليها "[(١)].

لا بأس على الذين يقتلون الأنبياء بغير حق أن يدمروا سمعة من لم يقتلوه بغير حق.

هذا عن داود في شبابه، أما عندما "شاخ الملك داود وتقدم في الأيام، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ، فقال له عبيده: ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء فلتقف أمام الملك، ولتكن له حاضنة، ولتضطجع في حضنك، فيدفأ مولانا الملك، ففتشوا عن فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا بيشج الشونمية، فجاءوا بها إلى الملك فكانت حاضنة الملك"[(٢)].

وإذا كانت هذه هي صورة داود – عليه السلام – في العهد القديم، فإن القرآن الكريم قد وصف داود – عليه السلام – بأنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٣)] وأن الله تعالى آتاه: ﴿ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[(٤)] وأن الله تعالى أنزل عليه كتابا هو الزبور ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[(٥)] وأن الله تعالى آتاه العلم والفضل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٦)]﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[(٧)] ثم يأمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يذكر داود – عليه السلام –، فقال سبحانه: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ

---

(١) مفاتيح الغيب – الرازي ج٧ ص ١٨٥.
(٢) سفر الملوك الأول ١: ١ – ٤.
(٣) سورة ص الآية ٣٠.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٥١.
(٥) سورة النساء الآية ١٦٣.
(٦) سورة النمل الآية ١٥.
(٧) سورة سبأ الآيتين ١٠ – ١١.

عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[١].

يضاف إلى ذلك ما ورد في السنة النبوية من مدح الرسول ﷺ وثنائه عليه حيث يقول ﷺ فيما يرويه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود - عليه السلام - كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً"[٢].

ولكن ما ينبغي أن ننبه عليه هنا: هو أن بعض المفسرين قد وقعوا في خطأ فاحش، حيث أخذوا قصص التوراة على ما هو عليه ووضعوا قصة الافتراء هذه، تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾[٣].

في هذه الواقعة التي وردت في القرآن الكريم فإن الإسلام يلفظ كل ما سطره أهل الكتاب حولها بما لا يليق بجلال النبوة ومكانة الأنبياء، ويبرئ ساحة هذا النبي المعصوم من كل حرف جاء فيه.

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: من حدثكم بحديث

---

(١) سورة ص الآيات ١٧ - ٢٠.
(٢) فتح الباري ج٤ ص ٢٢٠، مسلم بشرح النوي ج٨ ص٤٦.
(٣) سورة ص الآيات ٢١ - ٢٤.

داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء.

وقال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح.

وقال الإمام فخر الدين: حاصل القصة المدعاة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا.

وقال غيره: " إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها، وذلك يدل على إستحالة ما نقلوه من القصة، فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم، ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لا ستهجنه العقلاء، ولقالوا: أنت في مدح شخص، كيف تجري ذمه أثناء مدحك؟ والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم "[١].

وروي أن واحداً ذكر الخبر عند عمر بن العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به قال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله تعالى فما ينبغي أن نتلمس خلافها، وإن كان على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه.

فقال عمر: سماعي هذا الكلام أحب إلى مما طلعت الشمس عليه[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما إن داود – عليه السلام – جزأ زمانه أربعة أجزاء: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه، ويوماً للوعظ والتذكير[٣].

---

(١) هذه النقول من تفسير الخازن ج١ ص ٣٥، ٣٦.
(٢) عصمة الأنبياء – محمد بن عمر فخر الدين الرازي ص ١٠٦.
(٣) تفسير أبو السعود ج٧ ص ٢٢٠.

وفي يوم من الأيام التي كان يخلو فيها إلى نفسه إذا بشخصين يتسوران عليه المحراب، ولما بدت عليه علامات الفزع من تصرفهما أخذا يهديان من روعة قائلين له : لا تخف، نحن خصمان تعدى بعضنا على بعض، وجئنا نحتكم فيما تخاصمنا فيه، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، واهدنا إلى سواء الصراط ثم بدأ أحدهما يعرض قصته قائلا: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فقال: أكفلنيها، أي اجعلها في كفالتي وملكي، ولم يزل حتى غلبني في جداله وخصامه.

وسمع داود القصة كما عرضها أحد الخصمين، ولما كانت تحمل في طياتها ظلماً واضحاً أخذ – عليه السلام – يحكم فيها وينكر على المدعى عليه فعله، إذ كيف يستكثر من يملك القطيع من الغنم نعجة يملكها أخوه ويطلب ضمها إليه، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء – أي الشركاء – الذين يخلطون أموالهم لبيغي بعضهم على بعض غير مراعين لحق الصحبة والشركة، ثم استثنى منهم المؤمنين، فإنهم يتحامون الوقوع في مثل هذه الأمور وهم قليل في المجتمع الإنساني.

وهنا تنبه داود – عليه السلام – إلى أمر ما كان يليق أن يصدر منه بحسب مقامه ومكانته، فرجع في الحال إلى ربه مستغفراً نادماً وخر راكعاً وأناب.

لكن ما هو الشيء الذي تنبه إليه داود إثر هذه الحادثة واستغفر منه ؟

قد يكون تعجله في الحكم على الخصم دون أن يسمع منه وجهة نظره، لأن القاضي ينبغي أن يقف على وجهة النظر الأخرى، فقد يتغير وجه المسألة تماماً، كله أو بعضه، وكما قيل: إذا جاء شخص مقلوع العين فلا تحكم له حتى ترى الآخر فقد يكون مقلوع العينين.

قد يكون هذا، وقد يكون غيره، والقرآن لم يحدده، فلنقف عند ظاهر الآيات، ولا ننسب إلى داود إلا كل حسن جميل، كما وصف القرآن الكريم.

والإمام الرازي يغلب أن يكون الخصمان من الملائكة، جاءا للامتحان

والاختيار، امتحان النبي الذي ولاه الله أمر الناس ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم، ويعتمد في ذلك على أنه رأى أكثر المفسرين.

ثم يقول إنه – عليه السلام – أرفع منزلة من أن يتسور عليه آحاد الرعية في حال تعبده، وقولهم لا تخف، وليس في رعيته من أن يتجاسر أن يقول مثل ذلك، وأيضا لا تشطط، أي لا تظلم، ولا تتجاوز الحق، ولا أحد من الرعية يتجاسر أن يقولها، ولا يقال: لو كانا ملكين لكانا كاذبين في قولهما خصمان بغى بعضا على بعض، وإن هذا أخي ... الخ.

والكذب على الملائكة غير جائز؛ لأنهم لا يعصون الله .... لأن الملكين ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل لا على سبيل التحقيق[1].

على أن لابن حزم رأى يختلف عن ذلك نذكره استكمالا لجوانب البحث في الموضوع.

قال بعد أن ساق الآيات : هذا قول صادق صحيح، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قوما من نبي آدم – بلا شك – مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الأخر على نص الآية، ومن قال: إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر السماء فقد كذب على الله عز وجل، وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله عز وجل[2].

إن مقارنة قصة داود في القرآن الكريم بما في العهد القديم توضح ما في كليهما من أصالة أو تحريف.

٦- سليمان عليه السلام.

لم يكن سليمان – عليه السلام – في نظر اليهود بأحسن حالا من أبيه، حيث تصوره الأسفار المقدسة في صورة الرجل الغارق في ملذاته، الذي يجمع

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج٧ ص ١٨٤.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم ج٤ ص ٣٩.
راجع تاريخ الدعوة – جمعه الخولي ج١ ص ٣٠٠ – ٣٠٢.

في بلاطه ألفا من النساء الغريبات اللاتي منع الله عشرتهن، وأنهن أملن قلبه عن ربه وهو في شيخوخته فاتجه إلى غيره وبني لكل واحدة منهن مذبحاً للأوثان على التلال.

فقد جاء في سفر الملوك الأول ما نصه :

"وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهن، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعائمة من النساء السيدات وثلاث مائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساء أملن قلبه وراء آلهه أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشروت إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع تماماً كداود أبيه حينئذ مرتفعه لكموش رجس الموابين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولموك رجس بن عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي ترادي له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب"[١].

يحمل هذا النص تهمة الشرك لسليمان، وأن النبي سليمان قد عصى الله ولم يلتزم أوامره عندما تزوج من غير بني إسرائيل، وعندما عبد واتبع آلهة زوجاته.

والسؤال هنا: كيف يقبل اليهود لنبي أن يكون من عابدي الأوثان، وأن لا يكون ممن يعبدون الله ؟

ثم إذا كانوا في غير هذا النص قد تحدثوا عن حكاية بناء الهيكل في

---

(١) سفر الملوك الأول ١١ – ١: ١٠.

القدس هيكل سليمان الذي يزعمون أن سليمان قد صرف جهداً كبيراً لإقامته ليكون بيتا للرب، وكل طرحهم الديني، ومشروعهم السياسي مرتبط به، فكيف يقبلون أن يكون سليمان في مثل هذه الحالة، حالة من تنجح النسوة في قيادته إلى عصيان الله وإلى الشرك به ؟

هذه النصوص تعد معهداً لتعليم الفساد؛ لأنه إذا كان عمل النبي أن يخطط ليظفر بزوجة أحد جنوده كما هي مع داود، والآخر أن يكثر من النساء غير المؤمنات، وبعد ذلك يتبع عقيدتهن فيصبح مشركا، فكيف يا ترى سيكون حال الناس إذا كانت هذه حال أنبيائهم ؟![١].

لا والله ليست هذه أخلاق الأنبياء ولا هي صفاتهم، لكنها صفات اليهود وأخلاقه، ألصقوها بأنبيائهم زوراً وبهتاناً؛ حتى يكون ذلك مبرراً لهم فيما يقدمون عليه من ارتكاب الفواحش، حيث تلعب هذه الصفات دوراً كبيراً في حياة اليهود وإقامة دولتهم.

" إن التعالي على الناس والفتك بالمعرضين وتسخير الغرباء والاستفادة بالنساء الجميلات، وبالأموال الضخمة، والدعاية القوية، كل ذلك بارز في التلمود وفي البروتوكولات وله في قصة لسليمان وغيره وجود"[٢] وقد نسب العهد القديم إلى سليمان – عليه السلام – سفراً داعراً ماجنا يترفع أراذل الشعراء عن التدني إلى رقاعته، وهذا نموذج مما نسبه اليهود إلى سليمان – عليه السلام – وهو يتغزل في حبيبته :

"ما أجمل رجليك بالنعلين يابنت الكريم، دوائر فخذيك مثل الحلي صنعه يدي صانع، سرتك كأس مدورة، لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك سبرة حنطة مسيجة بالسوسن، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية، عنقك كبرج من عاج، عيناك كالبرك في حشبون عند باب بث ربيم، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق، رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان، ملك قد أسر بالخصل، ما

---

(١) من اليهود إلى الصهيونية – د / أسعد الحمراني ص ١١٧.
(٢) اليهودية – د / أحمد غلوش ص ١٠٣.

أجملك! وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات! قامتك شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد "[1].

هذا بعض ما نسبته التوراة إلى سليمان – عليه السلام –.

فهل يعقل أن تنسب هذه الأفعال والأقوال إلى رجل عاقل ؟.

هل من المعقول أن يطلق على هذه الأقوال أنها وحي الله ؟.

معاذ الله، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

إن سليمان – عليه السلام – بريء مما ألصق به في الكتاب المقدس – كما يزعمون – وهو دليل على التحريف والتزييف في هذا الكتاب، وهو يدل أيضاً على جرأة اليهود على أنبياء الله وأنهم لم يتركوا خطيئة إلا ونسبوها إليهم حتى الكفر بالله.

وقد وصف القرآن الكريم سليمان – عليه السلام – وصفاً يليق به كنبي كريم اصطفاه ربه سبحانه ليكون واسطة بينه وبين خلقه.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[2]. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾[4].

---

(١) سفر نشيد الإنشاد: ص٧ – ١ – ٩.
(٢) سورة ص الآية ٣٠.
(٣) سورة النمل: ١٥.
(٤) سورة ص الآيات ٣٦ – ٤٠.

وبـــعـــــد :

فإن الكتاب المقدس في عهده القديم يطفح بوصف الأنبياء بالدنايا والرذائل وهتك الأعراض.

يعلق الشيخ / محمد الغزالي – رحمه الله – على ما نعته اليهود على الأنبياء والمرسلين بقوله :

"إن في تلك النصوص إساءة إلى أنبياء الله ورسله لما نسبوه إليهم مما يتورع منه الحشاشون والرعاع، وبأي وسيلة تكون هذه الإساءة من جانبهم إلى الأنبياء ؟.

لقد غلفوا هذه الإساءات في ثوب الوحي الإلهي المعصوم؛ حتى لا يجرؤ على تكذيبه أحد.

هل هذه سيرة رسل وأنبياء من قبل الله وأولاد أنبياء أم سيرة قطاع طريق ولصوص وفسقة وديوثين ؟.

إن جمهرة الفلاسفة والعلماء والعقلاء يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بالجهالة، كما يرفضون مقولة أن يسئ الله اختياره لسفرائه إلى خلقه، فكيف إذاً يستقيم ذلك مع تلك النصوص التي تنعت الأنبياء والمرسلين وأبناءهم بالزنا والسكر والاحتيال وأحط صفات الانحراف ؟.

وإذا كان أنبياء الله ورسله بتلك الصفات المنحطة فلماذا يلام – إذاً – رواد السجون وأصحاب الشرور"(١).

هذه هي صورة الأنبياء في العهد القديم، وكما يرى أصحاب الديانة اليهودية، أما الأنبياء من وجهة النظر الإسلامية: فهم بشر ولكنهم في أعلى مستوى الكمال الإنساني، فهم مبرءون من كل نقص بشري، لأنهم هم القائمون على تبليغ الرسالات الإلهية، والناس مأمورون بالاقتداء بهم، فيجب أن يكونوا على أرقى مستوى خلقي وسلوكي؛ حتى يتمكنوا من قيادة الناس إلى طريق الحق والخير والكمال، فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

---

(١) قذائف الحق – محمد الغزالي ص٢٩.

أما الهبوط بهم إلى ما دون مستوى العامة من الناس - كما هو الأمر في العهد القديم - فهو خروج بالنبوة عن معنى الاصطفاء والاختيار وانحراف بها عن معنى القدوة والهداية.

انظر مرة أخرى إلى القرآن وهو يتحدث عن رسل الله بالتبجيل والإكبار، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[١].

(١) سورة الأنعام: ٨٣ - ٩٠.

المبحث الثالث

عقيدة اليهود في اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر: جزء من الإيمان، كما تقرره كل الأديان السماوية الصحيحة.

والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بعلامات يوم القيامة الصغرى والكبرى، والحياة البرزخية، وأهوال يوم القيامة، والصراط، والميزان، والحساب، والبعث، والنشور، والجزاء بالجنة أو النار، على حسب ما قدم الإنسان في دنياه من عمل صالح أو غيره.

ومما لا شك فيه أن التوراة الحقيقة المنزلة على موسى قد اشتملت على هذه العقيدة، ونادت بالإيمان بها، كما ينبئنا بذلك القرآن الكريم، ففي قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقال الله عز وجل لنبيهم موسى – عليه السلام –: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[2].

وفي سورة الأعراف: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾[3].

وهذا يعني أن الإيمان بالبعث بعد الموت وباليوم الآخر كان ركناً أساساً في دين موسى – عليه السلام – ولكن الناظر في التوراة الحالية المحرفة لا يجد فيها شيئاً عن اليوم الآخر، وكل ما ورد فيها مما يتعلق بهذا الجانب إنما هو دنيوي بحت، فاليهودية تجعل – على الأكثر – الثروة والمال ضالتها التي تنشدها ليل نهار، لذلك نجد التوراة قد زهدت في ذكر الحياة الأخروية، وأهملت أمر القيامة التي

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٣.

(٢) سورة طه الآية ١٥.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

هي حقيقة دينية معترف بها، وقد اتخذت الثروة والمال أساساً لها في الترغيب والتخويف فالطاعة فيها تزيد الحنطة والخمر والزيت، والضلال يقللها[(١)]،[(٢)].

وعلى أية حال فلا نجد في التوراة الحالية شيئاً عن عقيدة الإيمان باليوم الآخر، وإنما كل ما جاء فيها: يتركز على الحياة الدنيا وبيان أنها محل الثواب والعقاب على ما يرتكبه الإنسان من خير أو شر.

"فإن الأخيار يجازيهم الله بالثراء والغنى وطول العمر والصحة الجيدة، وأما الأشرار فيجازيهم الله بالفقر والمرض وقصر العمر، وبهذا يتضح أنهم يرون أن الجزاء إنما يكون في الدنيا فقط"[(٣)].

ولم تبدأ الإشارة إلى اليوم الآخر في مصادر اليهود إلا بعد موسى بأكثر من خمسة قرون، وذلك بعد الأسر البابلي وحلول الكوارث ببني إسرائيل، فبدأوا يتنكرون الحياة الآخرة، لأن الحياة الدنيا لم تعد تسير على هواهم، فظهر سفر "أشعياء، ودانيال" يتحدثان عن اليوم الآخر، فقد جاء في سفر أشعياء : "يفنى كل جند السموات، وتلتف السموات كدرج، وكل جندها ينتثر كانتثارالورق من الكرمة"[(٤)].

ومع هذا التطور لوحظ أن اليهودي الذي عاش في الحياة الدنيا آمناً مطمئناً بلا متاعب أو إذلال، بقي على تصور أن الدنيا هي كل شيء، وأنه نال أجره فيها، أما اليهودي الذي عاش الدنيا قلقاً خائفاً تحيطه عوامل الإذلال والهوان فإنه أخذ يؤمن باليوم الآخر؛ ليأخذ حقه هناك، ويتساوى مع غيره من اليهود"[(٥)].

وقد لوحظ أن فرق اليهود الشهيرة لا يوجد من بينها من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الصحيح، ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات، وتعتقد أن

---

(١) إظهار الحق – رحمة الله الهندي، ج٣، ص٨٥٥.
(٢) انظر على سبيل المثال سفر التثنية ٢٨: ١ / ١٧، سفر اللاويين ٢٦: ٣ – ١٢.
(٣) مقارنة الأديان "اليهودية" د/ عوض الله حجازي، ص١٦٦.
(٤) سفر أشعياء ٣٤: ٤.
(٥) اليهودية – د/ أحمد شلبي ص٢٠٦، دراسات في اليهودية د/ أحمد غلوش ١١٥.

عذاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم، وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمن، لينقذ الناس من ضلالهم، ويدخلهم جميعاً في ديانة موسى أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين فإنهما تتفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام"[(١)].

أما التلمود فيتحدث عن الجنة والنار حديثاً مبهماً، لا يجلي لنا حقيقتهما ولا مشاهدهما، وهو حديث ممزوج بكثير من الخرافات والأساطير.

يقول الدكتور / علي عبد الواحد وافي:

"وقد ورد في بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار، ولكن في صورة مضطربة، أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية، وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة، كما يتناولون لحم طير كبير، لذيذ الطعم ولحم أوز سمين، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق، عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق الله فيها العالم، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ومن إليهم"[(٢)].

وهكذا انحرف اليهود عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها موسى – عليه السلام – واتبعوا أهواءهم فضلوا عن سواء السبيل.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن موسى – عليه السلام – أنه دعا قومه – فيما دعاهم إليه – إلى الإيمان بالآخرة، وأنها دار حساب يحاسب فيها المرء على ما قدم في دنياه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، يتجلى ذلك بوضوح في آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن السحرة، حيث يظهر من خلالها الفهم الصحيح للآخرة.

---

(١) اليهودية واليهود – د/ علي عبد الواحد وافي ص٤٩.
(٢) الأسفار المقدسة ص٣٨.

قال السحرة لفرعون حين هددهم بالقتل والتمثيل: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾(١).

ومن مظاهر الانحراف التي حكاها القرآن الكريم عن اليهود فيما يتصل باليوم الآخر: دعواهم أنه لن يدخل الجنة سواهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾(٢).

وقد ادعى اليهود أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، فأبطل القرآن الكريم دعواهم كسابقتها ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٣).

هكذا حكى القرآن الكريم دعاوي اليهود الباطلة التي تؤكد انحرافهم عن الحق بالنسبة لليوم الآخر، ورد عليها بما يخرس ألسنتهم ويدحض مدعاهم.

---

(١) سورة طه الآيات ٧٢ - ٧٦.

(٢) سورة البقرة الآيتان ١١١ - ١١٢.

(٣) سورة البقرة الآيات ٨٠ - ٨٢.

المبحث الرابع
عقيدة شعب الله المختار

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم من بين سائر خلقه؛ كي يكونوا عباده، وما عداهم من الأمم الأخرى ما هم إلا حيوانات خلقها الله في صورة بشرية، ليسهل التعامل معهم، ولكي يكونوا خدماً لهم.

وقد استدل اليهود على هذه العقيدة الباطلة بمجموعة من الأدلة أخذوها من توراتهم المحرفة، ومن تلمودهم الموضوع أساساً بيد أحبارهم وحاخاماتهم ومن هذه الأدلة :

ما جاء في سفر الخروج :

"الآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة هذه هي الكلمات التي كلَّم بها بني إسرائيل"[(١)].

وجاء في سفر التثنية :

"لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض"[(٢)].

وجاء في سفر التكوين :

"وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون لك إلها، ولنسلك من بعدك"[(٣)].

وجاء في سفر اللاويين :

"أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسين؛ لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي"[(٤)].

---

(١) سفر الخروج ١٩: ٥ – ٦.
(٢) سفر التثنية: ٧: ٦.
(٣) سفر التكوين: ١٧: ٧.
(٤) سفر اللاويين: ١٩: ١ – ٤.

ولا تقف النصوص المقدسة لدى اليهود عند هذا الحد، بل إننا نجد التلمود ينص صراحة على أن اليهود صفوة الخلق، وأن الله اصطفاهم وفضلهم على غيرهم، ومن أمثلة ذلك أن :

١ - أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، وأرواح اليهود عزيزة عند الله - بالنسبة لباقي الأرواح -؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات.

٢ - النعيم مأوى أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فمأوى الكفار، مهما اختلفت أسماء ديانتهم.

٣ - الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب رجل غير إسرائيلي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، ويستحق الموت.

٤ - لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض.

٥ - الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب.

٦ - النطفة المخلوق منها باقي الشعوب هي نطفة الحصان.

٧ - الأجانب كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا الكلاب، بل الكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي.

٨ - الأمم الخارجة عن دين اليهود أشبه بالحمير، ويعتبر اليهود بيوتهم أشبه بزرائب الحيوانات.

٩ - مسموح لليهودي أن يغش غير اليهودي، وأن يأخذ منه الربا الفاحش.

١٠- قتل غير اليهودي من الأفعال التي يكافئ عليها الله، وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فيجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت وبأي طريقة ممكنة "(١).

ومن ثم تقوم عقيدة شعب الله المختار لدى اليهود على أساس من دينهم

---

(١) لماذا نمقت اليهود - محمد عزت الطهطاوي ص٧٣.

وكتبهم المقدسة "والشنيع في الأمر: أن اليهود جعلوا ذلك نصوصاً في التوراة يتلونها حتى اليوم، فالعقيدة التلمودية قائمة على أن اليهود من جوهر الله كما أن الولد من جوهر أبيه"(١).

ويشير أحد الباحثين إلى الخطورة الكامنة وراء إيمان اليهود بتلك النزعة العنصرية فيقول:

"وفكرة الشعب المختار من أخطر ما عرف في التاريخ الإنساني من أفكار وأبعدها أثراً في حركة الصراع الدائر فيه، وكل الأفكار التي تدور في هذا الفلك - من الاستعلاء العنصري أو الإحساس بتفوق الجنس - أذاقت العالم من الويلات ما لم تنته آثارها حتى الآن، وأغلب الظن أنها لن تنتهي إلى وقت طويل، ولكن الإسرائيليين يختلفون عن النازيين في أنهم يقيمون فكرة التفوق العنصري على أساس ديني، وأن إيمانهم بهذه الفكرة كان المأوى الظليل الذي آووا إليه في فترات الاضطهاد والتشرد، وأعجب العجب أن مخططاتهم المعاصرة تقوم كلها على تذويب الإحساس "القومي" لدى غيرهم من الشعوب بنشر الأفكار "العالمية" التي ابتدعوها وتسللوا من خلالها إلى كثير من أهدافهم، وهم - مع سعيهم لإضعاف الشعور القومي - الشعب الوحيد الذي يظل محتفظاً بقوميته؛ لكي يكون له المجد - في النهاية - والسيطرة على كل شعوب الأرض باعتباره "شعب الله المختار"(٢).

والحقيقة: أن بني إسرائيل ليسوا شعب الله المختار كما يزعمون، وليست أمتهم أفضل الأمم كما يدعون، وكما يبدو لبعض الناس من ظاهر النصوص القرآنية التي حكم فيها المولى عز وجل لبني إسرائيل حكماً صريحاً بأنه فضلهم على العالمين. مثل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣).

---

(١) الكنز المرصود في فضائح التلمود - تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ص١٩٩.
(٢) الشخصية الإسرائيلية د/ عبده الراجحي ص٥٢.
(٣) سورة البقرة الآية ٤٧.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

يعقب الدكتور (عبدالستار فتح الله سعيد) على هذه النصوص القرآنية بقوله:

"قرر القرآن العظيم صراحة أن الله تعالى اختار بني إسرائيل؛ ليقوموا بحمل رسالته في العالم القديم، وفضلهم بذلك على العالمين في زمانهم، ولم يكن هذا الاختيار بسبب العنصر أو العرق أو النوع أو اللون أو السلالة الخاصة، أو غير ذلك من دعاوي وأباطيل الجاهليات البشرية في كل العصور !!.

وإنما كان تكليفاً لبني إسرائيل، واختباراً لابتلائهم: أيشكرون أم يكفرون؟ ولهذا قرن القرآن العظيم الأمرين جميعاً "الاختيار والاختبار" في آيتين متتاليتين: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ﴾.

والبلاء هو: الاختبار حقيقة، وقد يطلق على النعمة أو المحنة مجازاً، من حيث إن كلا منهما يكون وسيلة للاختبار".

فماذا فعل بنو إسرائيل رغم الآيات البينات ؟!.

يشهد الله وكتابه وأولوا العلم – قديماً وحديثاً – أن اليهود قد سقطوا – في هذا البلاء – سقوطاً شنيعاً ذريعاً تفردوا به بين العالمين أجمعين، بما حرفوا في دين الله، وزيفوا في معالم الوحي، وبما عصوا وكانوا يعتدون، وبذلك سلبوا عن أنفسهم شرف حمل الرسالة، وأداء أمانة الوحي"[4].

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٦.
(٢) سورة الدخان الآية ٣٢.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٠.
(٤) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص١٥٧.

وهنا غضب الله عليهم ولعنهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾(١).

وفي موضع آخر قال الله لهم: إن كانت لكم الولاية عند الله حقاً من دون الناس فتمنوا الموت، لتصيروا إلى ما صار إليه أولياء الله، فللأولياء عند الله الكرامة حيث يقول سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

ثم بين سبحانه أنهم لن يتمنوه أبداً بما أسلفوا من كفر بالله وتكذيب لرسله، فكان في ذلك بطلان زعمهم وما ادعوه من الولاية، يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

وفي موضع آخر يصفهم القرآن الكريم بأنهم أحرص الناس على الحياة والتمسك بها، والبعد عن لقاء الله قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾(٤).

إن دعوى اليهود بأن الله اصطفاهم وفضلهم على العالمين هي في الحقيقة "لبس للحق بالباطل، ومزج بين مختلفين لا يتقاربان، فقد اختار الله المؤمنين من بني إسرائيل في جملة من اصطفى من المؤمنين، وفضلهم برسالات الأنبياء فيهم على الوثنيين وعلى جاحدي الرسالات ومنكريها، لا بنبوة خاصة ودم مختار، فالكل لآدم، وآدم من تراب، فمن استقام على الطريقة فهو في رضا الله، وإن كان من مصر التي طردتهم، أو آشور التي داستهم، أو

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٧٨، ٧٩.
(٢) سورة الجمعة الآية ٦.
(٣) سورة الجمعة الآية ٧.
(٤) سورة البقرة الآية ٩٦.

كان من بني جلدتهم، وكتابهم الذي أكثروا فيه من دعوى الخصوصية ينص على هذه الحقيقة في غفلة من تحريفهم وتبديلهم"(١).

فقد جاء في سفر أشعياء:

"في ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى آشور، فيجيء الأشوريون إلى مصر، والمصريون إلى آشور، ويعبر المصريون مع الآشوريين، في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثاً لمصر، ولآشور بركة في الأرض، بها يبارك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبي مصر، وعمل يدي آشور، وميراثي إسرائيل"(٢).

فهذا نص من نصوصهم التي يقدسونها شاهد عليهم، فإذا خالف اليهود رسالة أنبياء الله فقد كفروا به بعد علمهم، ويستحقون غضب الله عليهم ولعنته.

والقارئ للقرآن الكريم يلاحظ أن من ضمن ما نادى به: رفض العنصرية والمساواة بين أبناء البشرية، ويعلن أن كل إنسان مخلوق كرمه الله تبارك وتعالى، ويقرر في صراحة كاملة أن الناس سواسية في الخلقة ومبدأ الكرامة وضمن ذلك عن طريق تنقية وجدانه وتحرير ضميره بالإضافة إلى وضع التشريع المناسب الذي يؤمن تحقيق المساواة الحقة بين الناس، ليس فقط في أمور الدنيا وإنما في أمور الدنيا والآخرة.

يقول الأستاذ / سيد قطب:

"جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير، وفي المحيا والممات، وفي الحقوق والواجبات أمام الله عز وجل، والقانون وفي الدنيا والآخرة، لا فضل إلا للعمل الصالح، ولا كرامة إلا للأتقى، ثم يضيف: وكان تقرير الإسلام هذا وثبة للإنسانية لم يعرف التاريخ لها نظيراً ولا تزال - إلى هذه اللحظة - قمة لم يرتفع إليها البشر أبداً، ذلك ما فرضته القوانين البشرية

---

(١) اليهود من كتابهم المقدس أعداء الإنسانية - كمال أحمد عون ص٩١ - ٩٢.

(٢) سفر أشعياء ١٩: ٢٣ - ٢٥.

نظرياً في الثورة الفرنسية وما تلاها حققه الإسلام - عملياً - في صورة أعمق وأعلى من ذلك بقرون"[1].

فالناس جميعاً ينسلون من مصدر واحد كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

والرسول ﷺ يقرر ذلك ويعلن في حجة الوداع على مسامع الناس: "أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى"[4].

ومن هنا فالله لا يفضل الإنسان على أساس جنسه، أو لونه، وإنما على أساس عمله وطاعته وتقواه "ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[5].

وهكذا لم يترك الإسلام سبباً من أسباب التفاوت - التفاضل - ولا صورة من صوره ولا ملابسة من ملابساتها إلا قضى عليها.

---

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام - سيد قطب.
(٢) سورة النساء الآية ١.
(٣) سورة الحجرات الآية ١٣.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٤١١.
(٥) صحيح الإمام مسلم باب الذكر والدعاء.

المبحث الخامس
عقيدة أرض الميعاد

من أركان الدين اليهودي: "عقيدة أرض الميعاد" حيث يعتقد اليهود اعتقاداً جازماً أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بني إسرائيل بمساحة من الأرض؛ لكي يقيموا عليها دولة لهم تجمعهم من التشرد والتشتت وقد وضعوا في توراتهم كثيرا من النصوص المحرفة التي تؤيد هذا الإدعاء الباطل.

مناقشة مزاعم اليهود في فلسطين :

إن اليهود يزعمون أن لهم حقاً تاريخياً، وحقاً دينياً في فلسطين، والواقع أنهم مغتصبون لأرض غيرهم، وليس لهم أدنى حق في هذه الأرض لا من الناحية التاريخية ولا من الناحية الدينية كما سنبين ذلك فيما يلي :

وقبل أن ندخل في مناقشة الحق المزعوم لليهود في فلسطين نود أن نسألهم : لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية ؟.

لماذا لم يظهر في أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية المنظمة على يد (هرتزل)؟. فمن المعروف أن فلسطين لم تكن هي المرشحة لتكون الوطن القومي لليهود، بل رشحت عدة أقطار في أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك، ولم تظهر فكرة فلسطين – باعتبارها أرض الميعاد – إلا بعد فترة من الزمن(١).

دعوى الحق التاريخي :

في العصور الغابرة كان الكنعانيون يسكنون أرض فلسطين، ولهذا سميت بأرض كنعان وحوالي (عام٢٨٠٠ق.م) بسط الفراعنة المصريون نفوذهم على فلسطين، ثم بسط الهكسوس نفوذهم عليها بعد أن طردوا المصريين حوالي عام (١٧١٠) ق.م وظلوا يحكمونها حتى عام (١٤٨٠) ق.م حين قدم

---

(١) القدس قضية كل مسلم – د/ يوسف القرضاوي ص٥٦.

المصريون وطردوا الهكسوس وبسطو سلطانهم على أرض كنعان مرة أخرى حتى عام (١٣٥٠) ق.م ثم تلاهم الحيثيون ثم المصريون مرة أخرى، وظلت أرض السلام موضع شد وجذب من قبل الدول الطامعة فيها، وذلك بسبب خيراتها وموقعها الجغرافي الممتاز الذي يمثل نقطة اتصال الشرق بالغرب - حتى عام (١٠٠٠) ق.م.

حين استولى الملك داود على بيت المقدس وحكم أرض كنعان أربعين سنة، ثم تلاه ابنه سليمان الذي حكم ثلاثة وثلاثين عاماً ثم زالت تلك المملكة وهي مملكة (يهوذا) من الوجود بعد وفاة سليمان حوالي (٩٢٧) ق.م، حيث انقسمت المملكة على نفسها فشكلت قبائل (يهوذا) مملكة يهوذا في الجنوب، وشكلت باقي القبائل اليهودية مملكة (إسرائيل) في الشمال، ثم توالت الفتوحات الأجنبية - بعد ذلك - التي أزالت كلا المملكتين، إذ كانت كل منهما أضعف من أن تقاوم الغزو الأجنبي.

ونبين في الجدول الآتي الدول التي حكمت فلسطين ومدة حكم كل منهما ومنه يمكن أن نناقش مدى أحقية اليهود المزعومة في إقامة الوطن القومي اليهودي لهم على أرض فلسطين[١].

---

(١) مجلة منار الإسلام عدد رجب ١٤١٧هـ - نوفمبر ١٩٩٦م.
المزاعم الدينية لليهود في فلسطين أ/ شوقي محمد بدران ص٧٦.

الدول التي حكمت فلسطين

حكام فلسطين	تاريخ حكمهم		مدة الحكم بالسنوات	ملاحظات
	من	إلى		
الكنعانيون	–	–	غير معروفة	١ – كلمة جزئياً تعني حكم جزء فقط
المصريون	–	–	غير معروفة	من فلسطين – كما يظهر في حكم
الهكسوس	١٧١٠ق.م	١٤٨٠ق.م	٢٣٠	الصليبيين جزئياً، وكذلك السلاجقة
المصريون	١٤٨٠ق.م	١٣٥٠ق.م	١٣٠	والعرب حكموا فلسطين في نفس
الحيثيون	١٣٥٠	١٢٩٠	٦٠	الفترة من عام (١٠٩٩-١٢٩١)
المصريون	١٢٩٠	١١٥٤	١٣٦	ب.م . فكان كل فريق منهم يحكم
حكام محليون	١١٥٤	١٠٠٠	١٥٤	جزءاً من البلاد في الوقت نفسه.
اليهود				٢ – لم يتمتع كل من الدولتين اللتين
داود وسليمان	١٠٠٠	٩٢٧	٧٣	انقسمتا على ملك سليمان (إسرائيل
إسرائيل الشمالية	٩٢٧	٧٢٢	٢٠٥	ويهوذا) بالاستقلال الحقيقي إذ كان
يهوذا الجنوبية	٩٢٧	٥٨٦	٣٤١	كل منهما يدفع الجزية إلى إحدى
بابل	٥٨٦	٥٣٨	٤٨	الدول الغازية الكبرى.
فارس	٥٣٨	٣٣٠	٢٠٨	٣ – حكم العرب فلسطين لمدة
اليونان	٣٣٠	٣٢٣	٧	(٤٧٧) سنة في الفترة من عام
المصريون	٣٢٣	٢٠٠	١٢٣	(٦٣٨ – ١٠٨٥) ب.م. علاوة على
السلوفويون	٢٠٠	١٢٤	٥٨	حكمهم بعد الفتح الإسلامي، وبذلك
اليهود (جزئيا)	١٤٢	٧٠	٧٢	يبلغ مجموع مدة حكمهم ١٣٠٠ سنة.
روما	٦٣	٦١٤ب	٦٧٧	
فارس	٦١٤	٦٢٨	١٤	
روما	٦٢٨	٦٣٨	١٠	
العرب	٦٣٨	١٠٨٥	٤٤٧	
الأتراك «عرب»	١٠٨٥	١٠٩٩	١٤	
الصليبيون (جزئياً)	١٠٩٩	١٢٩١	١٩٢	
السلاجقة والعرب	١٠٩٩	١٢٩١	١٩٢	
المصريون	١٢٩١	١٥١٧	٢٢٦	
الأتراك «مسلمون»	١٥١٧	١٩١٨	٤١٠	
بريطانيا	١٩٢٣	١٩٤٨	٢٥	

ونستخلص مما سبق أن مصر القديمة والعرب والأتراك المسلمين قد حكموا فلسطين مئات السنين حوالي ١٣٠٠ سنة، أما اليهود فلم تدم مملكتهم سوى ٧٣ عاماً فقط، من عام ١٠٠٠ق.م إلى عام ٩٢٧ق.م وهو عمر مملكتي داود وسليمان، وبعد ذلك لم تتمتع كل من الدولتين اللتين انقسمتا على ملك سليمان وهما (إسرائيل ويهوذا) بالاستقلال الحقيقي، إذ كان كل منهما يدفع الجزية إلى إحدى الدول الكبرى الغازية، ويعلق على ذلك الشيخ عبد المعز عبد الستار في كتابه (اقترب الوعد الحق يا إسرائيل) قائلاً:

فلو جمعت كل السنوات التي عاشوها في فلسطين غزاة ما بلغت المدة التي قضاه الإنجليز في الهند أو الهولنديون في إندونيسيا ! فلو كان لمثل هذه المدة حق تاريخي لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم !.

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة في زمن الغربة لكان الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التي عاشوا فيها ٤٣٠ سنة، بدل فلسطين التي عاش فيها إبراهيم وأولاده ٢٠٠ سنة، أو تزيد قليلاً، ودخلوها شخصين، وخرجوا ٧٠ نفساً.

لكن هؤلاء اليهود لا يدعون الحق في امتلاك أرض فلسطين وحدها، وإنما يدعون الحق في امتلاك الكرة الأرضية كلها.

الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[1] أي لجميع الخلق، وهؤلاء يقولون "حين قسم العلي الأمم فرق بني آدم، نصب تخوماً حسب عدد بني إسرائيل"[2].

ويقولون كما جاء في سفر يسوع: "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته"[3].

فعلى مقتضى هذا المبدأ والقانون يكون من حقهم أن يطالبوا بمصر وكل أرض وطئوها.

---

(١) سورة الرحمن الآية ١٠.
(٢) سفر التثنية ٣٢: ٨.
(٣) سفر يشوع ١: ٣.

بل في نكبة (٥ يونيو ١٩٦٧) سأل مندوب الأسوشيتد برس جندياً إسرائيليا: ما هي حدود دولة إسرائيل؟ فأجابه بكل صلف وغرور: حيث أضع قدمي، وضرب بحذائه الأرض"[(١)].

يقول اللواء الركن: محمود شيت خطاب في كتابه "أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية":

"إن رغبة اليهود في اغتصاب الأردن بضفتيه الغربية والشرقية من الأمور المسلم بها لديهم لأسباب سياسية واقتصادية وعسكرية".

"وكذلك الاستيلاء على لبنان كله حتى حدوده الشمالية، بالإضافة إلى سوريا كلها، ولواء الاسكندرونة".

ويظهر المرجع بالدليل "أن اليهود يهدفون إلى اغتصاب مصر، وبخاصة سيناء والعريش والدلتا حتى مدينة الإسكندرية.

كما أنهم قرروا احتلال العراق كله، بحيث تمتد حدود الدولة اليهودية على امتداد الحدود العراقية التركية الإيرانية.

وقد صرح موشى دايان وزير دفاع العدو اليهودي في ٦ يونية ١٩٦٧م وهو يوم احتلال اليهود للقدس "لقد استولينا على أورشليم، ونحن في طريقنا إلى يثرب وإلى بابل"[(٢)].

إن الحق التاريخي الذي يدعونه – كما يقول الشيخ / عبد المعز – خرافة وصلافة، فهم لن يقيموا في فلسطين إلا غرباء، كما تصرح بذلك الأسفار، فهل للغريب أو عابر سبيل أن يدعي ملكية الأرض التي أقلته، أو الشجرة التي أظلته، لأنه قال تحتها ساعة من نهار؟ على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين، وإنما قاموا في سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التي لم تتوقف فيما بينهم (يهوذا، إسرائيل) وفيما بينهم وبين الفلسطينيين.

---

(١) حيفة الأخبار ١٠ يونيو ١٩٦٧م.

(٢) أهداف إسرائيل التوسعية – لواء محمود خطاب ص١٢، ١٤، ١٨، ٢٣، ٢٥.

وقد بلغ عدد من قتلوا من الفلسطينيين مائتي ألف قتيل(١)، وعدد من قتلهم داود وحده بعد ذلك أكثر من مائة ألف قتيل(٢) – حسب قول كتبهم – ثم دهاهم الغزو البابلي فبددهم.

على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلي، حتى جاءهم الغزو الروماني فأباد خضراءهم ومزقهم كل ممزق، ثم جاءهم الفتح الإسلامي وهم مشردون في الأرض، محرم عليهم أن يقيموا في أورشليم، حتى إن البطريك سفرنيوس بطريك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر وهو يسلمه مفاتيح القدس: ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها. لقد دخلها العرب وهي خالية من اليهود، بعد ما طردهم الرومان وأسلم أهلها، وبقي العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام، أفلا يكون لهم حق تاريخي مثل اليهود(٣).

وعلى أساس هذا البحث التاريخي نرى أنه ليست لإسرائيل اليوم ذرة من الحقوق في فلسطين، مما يجعل دعواها دون سند من التاريخ.

دعوى الحق الديني:

يزعم اليهود أنهم أصحاب حق في فلسطين باعتبارها الأرض التي وعدهم الله بها، حيث جاء في التوراة – كما بينت سابقاً – أن الله سبحانه وتعالى قد وعد سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وذريته من بعده أن يعطيه فلسطين لإقامة دولة فيها، وهذا القول المقدس عندهم لنا عليه ملاحظات، منها:

أولاً: القارئ لنصوص التوراة التي تؤكد عقيدة أرض الميعاد يلاحظ –ولأول وهلة – أنها نصوص محرفة ومزيفة مكتوبة بأيدي أحبار اليهود أنفسهم، حيث يجد القارئ أن هناك نصوصاً تحدد أرض الميعاد بأنها أرض

---

(١) ما هو ثابت في فصول سفر القضاة.
(٢) سفر الملوك ٢، ٣.
(٣) انظر: اقتراب الوعد الحق يا إسرائيل – للشيخ عبد المعز عبد الستار ص١٧ – ٢١.
(٤) وكتاب "هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟" محمد أحمد أبو فارس.
وكتاب القدس قضية كل مسلم د/ يوسف القرضاوي ص٦١.

فلسطين، ونصوصاً أخرى تدل على أن أرض الميعاد هي من النيل إلى الفرات، ونصوصاً أخرى ترى أن أرض الميعاد هي كل أرض لمستها أقدام اليهود.

وهنا يأتي السؤال: هل من الممكن أن تكون هذه نصوص سماوية مقدسة وبينها هذا التعارض والتناقض ؟.

ثانياً: لو سلمنا جدلاً بصحة النصوص التي استدل بها اليهود فإنها لا تعطيهم مدعاهم في أحقيتهم بهذه الأرض، ذلك أن الوعد من الله كان لنسل إبراهيم، فمن هم نسل إبراهيم ؟.

هل هم أبناؤه الذين آمنوا به واتبعوا ملته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

وبالتالي يكون الأحق بهذا الوعد هم أمة النبي ﷺ لأنهم هم الذين حملوا لواء التوحيد والتزموا بملته – عليه السلام – وأدخلوا الإسلام فلسطين بعد طرد الغزاة.

ولو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه يتساوى في ذلك إسرائيل (يعقوب) وذريته، وإسماعيل وذريته أيضاً، وهذا يعني أن ذلك الوعد ليس مقصوراً على بني إسرائيل وحدهم، وإنما هو لسلالة سيدنا إبراهيم على الإطلاق، "لأن إبراهيم – عليه السلام – جد للعرب كما هو جد لليهود، فلا اختصاص – إذاً – بفلسطين بسببه، وهذا ما يؤيده نص العهد إلى إبراهيم – عليه السلام – بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات قبل أن يولد له إسماعيل وقبل إسحاق، فكيف يمكن تفسير اختصاص الإسرائيليين وحدهم – نسل

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٨.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤.

إسحاق – دون إسماعيل – عليهما السلام – وذريته للعرب ؟ وهو الجد الأعلى لمحمد ﷺ[1].

فالتعبير التوراتي في العهد مع إبراهيم – عليه السلام – ينص على "نسلك" ومن نسله "إسماعيل" إذ هو أب لعدد كثير من القبائل العربية، ثم إن التوراة لتنص على أن الحق لإسماعيل لأنه ابن إبراهيم، جاء في سفر التكوين:

"ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح فقالت لإبراهيم: "اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل وابن الجارية – أيضاً – سأجعله أمة؛ لأنه نسلك"[2].

لذا فإن نسل إسماعيل لهم جميع الحقوق، وهم يعتبرون أنفسهم على حق، وإضافة إلى ذلك فإن عهد الختان إلى إبراهيم في تمليكه أرض كنعان ملكاً أبدياً كان في أيام إسماعيل.

جاء في سفر التكوين:

"وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته"[3].

"وإذا كان إسحاق قد ولد بعد عام من ذلك فإن إسماعيل كان عمره أربعة عشر عاماً يوم ولد إسحاق، فإسماعيل هو الابن الأكبر وهو بكر سيدنا إبراهيم، وحسب شريعة اليهود فإن الابن الأكبر هو الذي يرث أكثر، كما أنه لا يهم ما إذا كان الابن الأكبر ابن حرة أو ابن أمة"[4].

---

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين – د/ عايد توفيق الهاشمي ص٢٣٦.
(٢) سفر التكوين: ٢١ – ٩: ١٢.
(٣) سفر التكوين: ١٧ – ٢٥.
(٤) العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق – أحمد ديدات ص٦٣.

ثالثاً: هل هذا الوعد – إن صح – يمنح هذه الأرض وعداً مطلقاً أو وعداً مشروطاً؟ وإذا كان مشروطاً فهل تحققت شروطه؟.

الذي يقرأ الكتاب المقدس عند اليهود وخصوصاً أسفار العهد القديم، يجد أن وعد الله لبني إسرائيل إنما هو وعد مشروط، بأن ينفذوا التعاليم ويحفظوا العهد، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه حتى يكونوا أهلاً لنصر الله وتمكينه، وهو المعقول والملائم للعدالة الإلهية والحكمة الربانية، فإن الله لا يعامل الناس بأنسابهم بل بأعمالهم.

اليهود نقضوا عهد الرب:

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص:

"احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها"[(١)].

"اعمل الصالح والحسن في عيني الرب؛ لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لآبائك"[(٢)].

"فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها"[(٣)].

هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية – العهد القديم – تشرح الشروط وتفصل الأسس التي جعلها الرب "رب بني إسرائيل" جوهر "العهد".

لكن هل أدى والتزم وحافظ الطرف الثاني على ما أمره الرب به؟.

الكتاب المقدس – الذي هو حسب اعتقاد أتباعه كتاب نصوصه ربانيه واتباعه طاعة لأوامر الرب يسجل:

١ – جاء في سفر الخروج: "فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في

---

(١) سفر التثنية: ٦ – ١٨.
(٢) سفر التثنية: ٦ – ١٨.
(٣) سفر التثنية: ٧ – ١١.

آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصورة بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكا[١] فقالوا: هذا ألهتك يا إسرائيل، التي أصعدتك من أرض مصر "[٢].

لقد عبد بنو إسرائيل أصناماً من دون الله الواحد الذي قام "العهد" بينه وبينهم، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا - من جانبهم - بقيادة هارون (شقيق النبي موسى) ! شروط وأسس "العهد".

٢ - النبي إيلياء (إيلياس، بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات "لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف وهم يطلبون نفسي ليأخذوها "[٣].

٣ - النبي موسى "ذاته" (أي قبل النبي إيليا، كان قد قال: "يقول موسى: عصيتم قول الرب إلهكم، ولم تصدقوه، ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم "[٤].

٤ - الرب نفسه يقول ليشوع:

"الرب يقول: قد أخطأ بنو إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا ..."[٥].

ملاحظة: "أخطأ بنو إسرائيل" في هذا النص تعني: ارتكبوا خطيئة.

٥ - خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول:

"حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب "[٦].

---

(١) سبق أن بينت أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل هون السامري وليس هارون -ج.

(٢) سفر الخروج ٣٢ - ٢ - ٤.

(٣) الملوك الأول ٩ / ١٠.

(٤) سفر التثنية ٩ / ٢٣ - ٢٤.

(٥) يشوع: ٧ / ١١.

(٦) نحميا ٣ / ٢٠.

٦ – نورد مرة أخرى مخاطبة وجهها موسى إلى بني إسرائيل: "يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضاً عن آبائكم تربية أناس خطأة؛ لكي تزيدوا أيضاً حنق (غضب) الرب على إسرائيل"[١].

٧– "اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذي يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعلمون بالأجرة، وأنبياؤها يعرفون بالفضة"[٢].

نكتفي بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم، حيث إنها تكشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود "العهد" الذي يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما.

أيضاً في العهد الجديد من الكتاب المقدس توجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع العهد المزعوم.

١ – **يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب**: "قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا؛ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطي لأمة تعمل آثاره"[٣].

٢ – **يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل**: "قال لهم ... يا أولاد الأفاعي"[٤].

٣ – **يسوع نفسه يقول لبني إسرائيل**: "فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم"[٥].

---

(١) سفر العدد ٣٢ / ١٤.
(٢) سفر ميخا ٣ / ٩ – ١١.
(٣) إنجيل متى: ٢١ – ٣١ – ٣٣.
(٤) إنجيل متى: ٣ / ٧.
(٥) إنجيل متى: ٢٣ / ٣١ – ٣٣.

هكـــذا :

واستناداً على نصوص توراتية من الكتاب المقدس أوردناها حرفياً يتضح منها أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياه وأرميا وعزرا ونحميا وميخا ويوحنا المعمدان، وأخيراً في زمن يسوع المسيح – خرقت من جانب واحد – شروط وأسس وبنود "العهد" الذي أبرم بين الله وإبراهيم، خرقت مراراً ومراراً وفي عصور كثيرة.

وعليه يبرز التساؤل: هل بالرغم من هذا الاستهتار "بعهد الرب" وخرقة – لا تزال قائمة حقوق توراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة مثل: فلسطين، ولبنان، ومصر، والأردن ؟ لجماعات مثل "الفلاشا" الأثيوبيين، أو المواطنين من روسيا وأوكرانيا، أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون في الكيبوتز، باسم "عهد" خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون – مرات ومرات ومرات – في حقبات مختلفة من التاريخ ؟ هل في مثل هذه المطالبات بحقوق ذرة من إقناع ومنطق وإنصاف؟"[(١)].

رابعاً :

لو سلمنا جدلاً بصحة العهود والمواثيق، فإن العهود والمواثيق لا تنطبق على يهود اليوم.

فالحقائق التاريخية تنص على أن خروج بني إسرائيل من مصر كان حداً فاصلاً بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم.

وفي ذلك يقول العلامة الفرنسي غوستاف لوبون :

لقد لحق ببني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين من الأسارى ومن العبيد، ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم – وهو البحر الأحمر – بدأوا عشيرة تبدو كأنها نسل رجل واحد، وإن كانت – في الحقيقة – فاتحة صفوفها لجميع المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها.

---

(١) هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟ محمد أحمد أبو فارس ص٣١، ٣٢ وانظر القدس قضية كل مسلم – د/ يوسف القرضاوي ص٨٧.

ويقول مارجليوث:

لقد تكونت في الموطن الشمالي لنهر الراين أكبر مجموعة يهودية بأوروبا إذ وفد على ذلك المكان جماعة من أسباط العبريين الرحل الذين هجروا فلسطين إثر إحدى هزائمهم، واختلطوا في الطريق إلى أوروبا بعناصر سورية وأناضولية، وحطوا رحالهم بالحوض الشمالي لنهر الراين، وبمرور الزمن دخل عدد كبير من سكان هذه المنطقة ديانة العبريين الوافدين، وتفرع هؤلاء بعد فترة من الزمن فاستوطن بعضهم بولندا، واستوطن آخرون أوروبا، واتجه فريق منهم إلى روسيا.

ويقول العلامة لامبروز:

إن اليهود المحدثين هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي، وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية، وانضم إليها في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق، فمنهم: الفلاشا سكان الحبشة، ومنهم: الألمان ذوو السحنة الألمانية، ومنهم: السامي أي اليهود السود في الهند، ومنهم: الخزر وينتمون للجنس التركي.

ومن المستحيل: أن نتصور أن اليهود ذوي الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو الكستنائي وذوي العيون الصافية اللون الزرقاء، ممن نلقاهم اليوم في أوروبا الوسطى يمتون بصلة الدم إلى إسرائيل أرض الميعاد، أو يهود فلسطين القدماء، الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم(١).

ويقول "روفائيل بتاي": "لقد ثبت من كشوف الانثربولوجيا الفيزيقية أنه لا يوجد جنس يهودي خلافاً للفكرة الشائعة".

ويقول العلامة الفرنسي جارودي: "إن الواقع يقرر أن ٩٩ ٪ على الأقل من اليهود المعاصرين ليس من أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين

---

(١) اليهودية - د/ أحمد شلبي ص٧٦، ٧٧.

بسبب التحول من ناحية وبسبب الزيجات المختلطة خلال القرون من ناحية أخرى.

ويقول اللورد موين : "أن اليهود الحاليين لم يكونوا أحفاد بني إسرائيل القدماء، وليس لهم شرعاً أن يستردوا الأرض المقدسة في أرض فلسطين"[1].

وبناء على ما تقدم يتضح أن الجنس اليهودي تعرض للذوبان والانصهار في بوتقة الأجناس الأخرى، ولم يعد له وجود، وبالتالي ليس لهم أدنى حق في أرض فلسطين.

ولئن كانت الوعود والعهود التوراتية لبني إسرائيل، فليس فيها عهد واحد لليهود، فماذا يملك يهود العالم اليوم من حق في تملك فلسطين ؟ ولم تنص التوراة لهم – ولو بإشارة – في حق تملك فلسطين ؟ لا بنص اليهود، ولا بنص غير الساميين الذين يمثلون الأغلبية الساحقة لسكانَ فلسطين.

وبعد :

فإننا نضع هذه الحقائق أمام كل مسلم، وكل صاحب عقل وضمير في العالم؛ ليرى بنفسه المزاعم والخرافات التي لا يمل أبناء صهيون من اليهود من ترديدها كل يوم لإقناع العالم بها زوراً وبهتاناً.

إن الدعم الاستعماري هو سبب وجود وبقاء إسرائيل، ويوم يزول هذا الدعم سوف تزول هذه الدولة الباغية، التي ليس لها مقومات الدول ولا الشرعية الدينية أو السياسية لبقائها، وسوف يأتي هذا اليوم بإذن الله، وهو اليوم الذي يرونه بعيداً ونراه قريبا.

إن المعركة مع اليهود معركة بين قوى الإسلام واليهودية، ومعارك العقيدة لا تحسم بالحملات الإعلامية أو المناقشات الفكرية واللقاءات الثقافية، بل تحسم بالعقيدة القوية السليمة والفكر الواعي المستنير والإعداد المادي والأدبي

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي – عدد ذو القعدة ١٤٠٩هـ / يونية ١٩٨٩م "يهود اليوم وادعاءاتهم الكاذبة" د/ أحمد عيسى الأحمدي.

والجهاد المقدس ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

الله سبحانه وتعالى ناصر الحق يمهل ولا يهمل وسوف يعيد الحق لأصحابه، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

إن عهد الله قائم ومتجدد ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[3].

ومن هنا، يجب أن تكون ثقتنا في الله كبيرة، فلقد وعد الله، ولن يخلف الله وعده، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.
(٢) سورة الحج الآية ٤٠.
(٣) سورة الإسراء الآية ٨.
(٤) سورة النور الآية ٥٥.

الخاتمة

بعد عرض العقيدة اليهودية من خلال مصادر الفكر اليهودي وبيان موقف الإسلام منها تبين لنا التالي:

١ - أن عقيدة التوحيد من أسس الدين الذي جاء به موسى - عليه السلام - كغيره من الأنبياء والرسل الذين جاؤوا من قبله ومن بعده، غير أن بني إسرائيل لم يحافظوا على عقيدة التوحيد بل انحرفوا عنها، وغيروا وبدلوا ولم تبق هذه العقيدة على صفائها ونقائها كما كانت حين دعا إليه سيدنا موسى - عليه السلام -.

٢ - افترى اليهود كثيراً على الأنبياء والرسل عليهم السلام، فوصفوا بعضهم بالسرقة والنصب والاحتيال، ووصفوا بعضهم بالزنا والقتل وتدبير المؤامرات لكيد الآخرين، ووصل الأمر بهم إلى قتل بعضهم، كما بين ذلك القرآن الكريم.

٣ - يعد الإيمان باليوم الآخر ركناً أساساً من أركان دعوة كل نبي ورسول، والتوراة الحقيقية التي نزلت على سيدنا موسى - عليه السلام - قد اشتملت على هذه العقيدة، ونادت بالإيمان بها، ولكن الناظر في التوراة الحالية لا يجد فيها شيئاً عن الإيمان باليوم الآخر، وإنما كل ما جاء فيها إنما يتركز على الحياة الدنيا، وبيان أنها محل الثواب والعقاب على ما يرتكبه الإنسان من خير أو شر.

٤ - تقوم العقيدة اليهودية على التفرقة العنصرية، حيث يرى أتباعها بأنهم شعب الله المختار، وما عداهم من الشعوب ما هم إلا حيوانات خلقها الله في صورة بشرية؛ ليسهل التعامل معهم، ولكي يكونوا خدماً لهم، مستدلين على ذلك بأدلة من توراتهم المحرفة، ومن تلمودهم الموضوع أساساً بيد أحبارهم وخاماتهم.

٥ - تبين لنا من خلال الدراسة: أن دراسة ما عند الغير من ملل ونحل من خلال مصادرهم المقدسة يكون التفنيد لها أوقع والرد عليها أبلغ، إذ ليس أقسى على العدو وأدعى للانتصار عليه من أن نهاجمه من عقر داره، وندير الحرب على أرضه، ونكشف له زيف مصادره من مصادره نفسها، وما أكثر ما سنجد من زيف، وما نقف عليه من تضارب يصل إلى حد التناقض، وتلك سمة المصادر المصنوعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

وختاماً:

أسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الصواب ويشرح صدورنا، وأن يغفر لنا الزلل، وأن يجمع المسلمين على العمل بكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا: العهد القديم.

ثالثا : المراجع العامة :

- الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام – د / على عبد الواحد وافى – دار نهضة مصر –١٩٨١م.
- أهداف إسرائيل التوسعية – لواء / محمود شيت خطاب – القاهرة – دار الاعتصام ١٩٨١م.
- إظهار الحق – رحمة لله خليل الهندي – تحقيق د / أحمد حجازي السقا – القاهرة – دار التراث العربي للطباعة والنشر ١٩٧٨م.
- بنو إسرائيل في القرآن والسنة – د / محمد سيد طنطاوى – القاهرة – الزهراء للإعلام العربي طـ٣ ١٩٩٠م.
- تاريخ الدعوة – د / جمعة الخولى – القاهرة – دار الطباعة المحمدية طـ٢ ١٩٨٠م.
- التاريخ اليهودي العام – صابر طعيمة – دار الجيل – بيروت –١٩٨٣م.
- تفسير القرآن العظيم – الحافظ بن كثير – مكتبة الدعوة الإسلامية مصر ١٩٨٠م.
- تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار – محمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.
- التلمود تاريخه وتعاليمه – ظفر الإسلام خان – دار النفائس – بيروت ١٩٧٢م.
- الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون – محمد خليفة التونسي – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٨٤م.

- دراسات عن اليهودية - د / محمد إبراهيم الجيوشى - مطبعة الحسين ١٩٨١م.
- دراسات في الأديان اليهودية - د / احمد غلوش - دار الطباعة المحمدية - د. ت.
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة -موريس بوكاى - دار المعارف - مصر ١٩٧٧م.
- رسالة التوحيد - الإمام / محمد عبده - دار إحياء العلوم بيروت ١٩٩٢م.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي - دار أبى حيان - القاهرة - ١٩٩٥م.
- العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق - أ / أحمد ديدات - ترجمة على جوهر - دار الاعتصام - د. ت.
- العقيد اليهودية وخطرها على الإنسانية - د / سعد الدين السيد صالح - مكتبة الصحابة - جدة ١٩٩٥م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلانى - دار أبى حيان - القاهرة ١٩٩٦م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل - ابن حزم الظاهري - تحقيق / محمد إبراهيم نصر - عبد الرحمن عميرة - دار الجيل بيروت ١٩٨٥م.
- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه - د / أحمد ظاظا - دار القلم - دمشق ١٩٨٧م.
- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - بيروت طـ١١ ١٩٨٥م.
- في مقارنة الأديان - د / محمد عبد الله الشرقاوى - دار الهداية - القاهرة طـ١ ١٩٨٦م.
- القدس قضية كل مسلم - د / يوسف القرضاوى - مكتبة وهبه - القاهرة د. ت

- قذائف الحق - الشيخ / محمد الغزالي - دار ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٠م.
- الكنز المرصود في فضائح التلمود - تحقيق د / محمد عبد الله الشرقاوى - مكتبة الوعي الإسلامي ١٩٩٠م.
- لسان العرب - ابن منظور - دار لسان العرب - بيروت ١٩٨٨م.
- لماذا نمقت اليهود - المستشار / محمد عزت الطهطاوي - دار الاعتصام - مصر - د.ت.
- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام - د عوض الله حجازي - دار الطباعة المحمدية - ط ٢ ١٩٨٦م.
- معركة الوجود بين القرآن والتلمود - د / عبد الستار فتح الله سعيد - مكتبة المنار الزرقاء - الأردن ١٩٨١م.
- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام - لواء / أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٧٩م.
- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - غوستاف لوبون - ترجمة / عادل زعيتر - مكتبة الحلبي - القاهرة ١٩٧٠م.
- اليهودية - د / أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - ط ٧ ١٩٨٤م.
- اليهودية واليهود - د / على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - د. ت.

هذا بخلاف بعض المصادر الأخرى التي أشرنا إليها بالهامش في ثنايا البحث ولم نشأ الإطالة بذكرها.